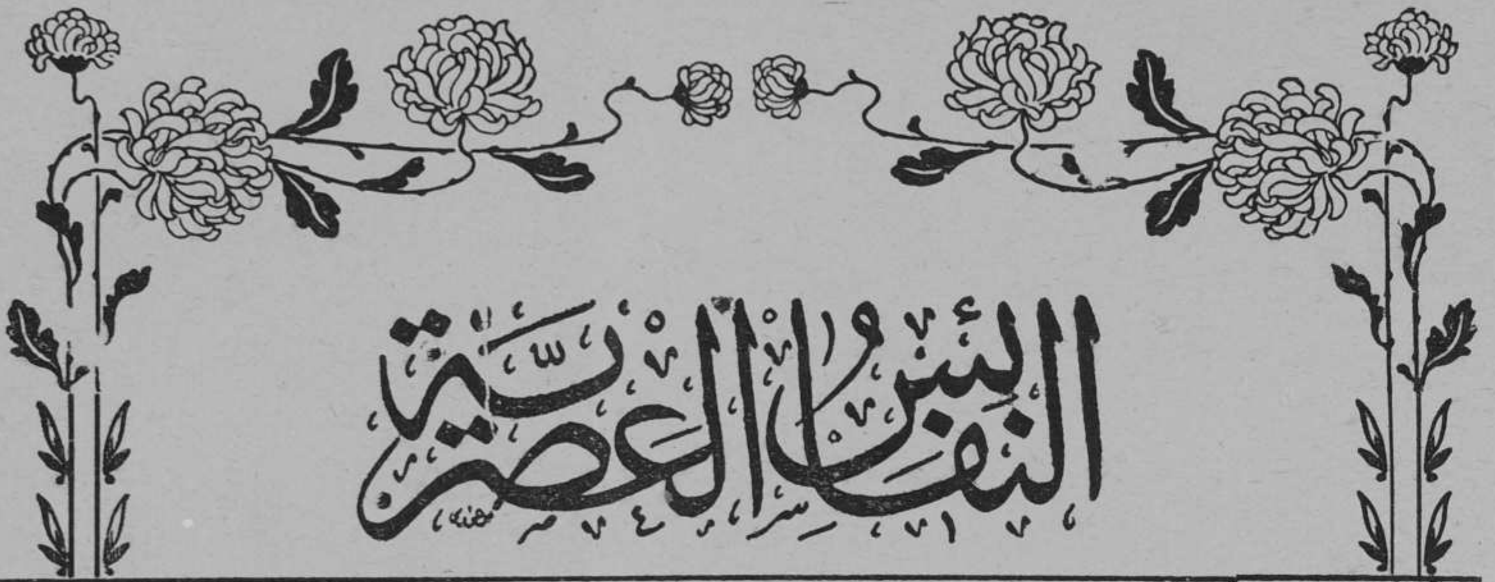


الجزء الثاني | شباط سنة ١٩١٤ | السنة السادسة

بلاد المكسيك

في الثالث والعشرين من شهر شباط من السنة المنصرمة قُتل رئيس جمهورية المكسيك فرنسيسكو ماديرو رميا بالرصاص ، وولي رئاسة الجمهورية هوارتا الرئيس الحالي الموقّت ، ونشبت الثورة في اعقاب ذلك في طول البلاد وعرضها ، وانقسم الناس في هذه الثورة الى حزبين الاول وهو حزب الحكومة وفي رأسه هوارتا المقدّم ذكره والثاني الثوّار او الحزب الدستوري ، وقد التظت بين الفريقين حرب شديدة ، وأرسلت حكومة الولايات المتحدة اسطولها الى موانئ المكسيك تريد ان تتداخل في الامر تداخلاً فعلياً ، والثورة لا تزال الى الان ناشبة ولا يُعلم ما ستكون نتيجتها . فاحببنا بهذه المناسبة ان نكتب الفصل التالي ، نودعه شيئاً من وصف هذه البلاد مع ذكر لمحة يسيرة من تاريخها ليكون القارئ على بيّنة من مجمل احوالها

اما البلاد فتمتدُّ من لدن الولايات المتحدة شمالاً الى الجمهوريات الصغيرة من اميركا الوسطى جنوباً . وهي في الغالب بلاد جبلية يحدُّها من الشرق خليج المكسيك ومن الغرب الاوقيانوس الباسيفيكي . وهي عريضة في الجهة الشمالية ضيقة جدًّا في الجنوبية . تخترقها سلسلة جبال صخرية . وفيها براكين كثيرة يبلغ ارتفاع بعضها نحو عشرين الف قدم ولا يزال بعضها متقدًا الى الان . وفي تربتها مناجم غنية من الذهب والفضة والرصاص والزئبق والكبريت . وتربتها خصبة غير انها مُهملة في الغالب . هواؤُها معتدل الا ان الحرّ في الاراضي الساحلية لا يطاق

وهي الان جمهورية تتأ لّف من سبع وعشرين ولاية متحدة وكورتين ولكل ولاية مجلسها وواليها . وفي عاصمة البلاد مجلس نيابي عام عدد اعضائه مئتان وثلاثة وثلاثون . ومن قوانينها ان العضو لمجلس النواب يُقبَل من السنة الثامنة عشرة فما فوق والرئيس من سن الخامسة والثلاثين

مساحة هذه البلاد ١٩٨٧٣٢٥ كيلومترًا مربعاً . وعدد سكانها زهاء خمسة عشر مليوناً . منهم نحو ثلاثة ملايين من البيض وخمسة من الهنود وسبعة مزيج بين هذا وذاك . ولهذا السبب ترى تمدنها ايضاً مزيجاً من العمران الاوروبي والخشونة البربرية . واهالي القرى فيها يأوون الى اكواخ حقيرة تشبه اكواخ الزنوج في افريقيا . وروى احد ادباء السوريين وقد زار تلك البلاد من مضيّ بضع سنوات ان الهنود فيها لا يزالون محافظين على كثير من عاداتهم واخلاقهم القديمة وهم يعيشون قبائل متحيزة ويتكلمون بلغاتهم الاصلية يخالطها كلمات من الاسبانيولية . وهم مسيحيون على المذهب الكاثوليكي الا انَّ منهم مَن يجمع بين الدين

المسيحي والوثنية التي كانوا عليها قبل انتحاله . ولكنهم يقيمون شعائر الوثنية سراً ولا يزالون يتبركون بأصنامهم وربما دفنوها في المزارع والحقول يعتقدون انها بذلك تزداد خصباً

ومما رواه ايضاً هذا الاديب في وصف اهل المكسيك (ونشرته مجلة الضياء في سنتها الخامسة) ان اول ما يستغربه الناظر اليهم نتوء الصدغين وتباعد العينين من غير ميل وبلوغهم الثمانين قبل ان يطرَّ شاربهم فهم في هذا على الزي الانكليزي من قبيل الشارب فقط . وقد صَعُبَ عليَّ ان آلف ذلك منهم كما صعب علي ان اعتاد منظر قبَّعتهم . غير اني لا احسب لهم فضلاً في شكل القبَّعة ولا في شكل البنطلون لانهم اخذوا هذه الحسنة في زيهم عن الاسبانيول . اما البنطلون فانه اضيق من قفَّاز الباريزيات فتراهم فيه على حد قول عنترة «والساق منها مثل ساق نعامةٍ» او مثل ساق الاوزة المنتوفة . واما القبعة فانها ذاهبة في العنان كبرج ايفل او عمود فندوم وعليها نقوش وكتابات اكثر من مسلَّة كليوبترا ولها من حولها اطار او رواق مستدير اوسع ظلاً من قبة نجران وكلما اختال لابسها في مشيه وهز رأسه تحسب الارض قد ماجت والسماء انخفضت من جانب وارتفعت من الجانب الاخر

وكلما اتسعت ثروة الواحد منهم زاد في زخرفة ملبوسه فبنطلون ذوي اليسر يكون على الغالب ثلاثة الوان كالراية الفرنسوية وعلى جانبيه سلسلتان من حديد متينتان وهما بطول البنطلون وبعرض ٧ سنتيمترات فما زاد وهما تقومان مقام الازرار لان هذا البنطلون لضيقه لا يُلبس كغيره ولكن لا بدَّ ان تكون كل واحدة من ساقيه مشقوقة من

الجانب الوحشي من فوق الى اسفل ثم تُضمّ احدى حاشيتيها الى الاخرى بواسطة السلسلة ولابسه يسمى (كاباليرو) ويصعب عليه المشي على الارض لان لحذائه مهمازاً نادر المثال قطره نحو ١٥ سنتيمتراً فيضطر حامله ان يخطو الخطوات القليلة التي لا بدّ منها متنقلاً على اصابع رجليه كأنه الحجل او كأنه ماشٍ على بيض . وهو قلّما ينزع عنه سلاحه ولا يُرى في منطقته اقلّ من مسدّسين وخنجر مع قطع النظر عن الاحدب البتّار الذي الى جنبه وبندقية موزير التي في عاتقه

ومن غريب عاداتهم ان الشاب اذا اراد الاقتران بفتاة لا يخطبها الى ذويها ولكن يكون ابتداء المسئلة على حدّ ما قال الشاعر « نظرةٌ فابتسامةٌ فسلامٌ » ومتى أرخى الليل سدوله يقف تحت نافذة الحبيبة ويناجيها بأشواقه ومذ ذاك يصير المغرب والنافذة موعد التقاء الحبيبين فيقضيان الساعات الى ما بعد منتصف الليل على هذه الصورة غير مباليين بالبرد ولا المطر . وبعد ان تمرّ عليهم عدة اشهر فاما ان يقترنا او ان يفترقا الى ما شاء الله . وهذا ليس مما يقع في الندور ولكنها عادة جارية في البلاد . فانك لا تكاد تمرُّ في احد الشوارع بعد المغيب الا ترى في كل نافذة فتاةً وتحت كل نافذة عاشقاً وربما وقفت اثنتان او ثلاث في نافذة واحدة وكان الخطّاب كذلك وهم كما ذكرنا في الشارع العام . وهذه الحسنة ايضاً اقتبسها المكسيكان عن اخوانهم الاسبانيول وهي كثيرة الشيوع في اسبانيا حتى ان نابوليون الثالث خطب الكنتس دي مونتيخو من النافذة وهي التي صارت بعد ذلك الامبراطورة اوجيني

* * *

واشهر مدن المكسيك : مكسيكو — العاصمة — وهي مبنية على

هضبة علوها ٢٢٨٠ متراً وعدد سكانها نحو ٣٥٠ الفاً . ومن اشهر ما يُذكر من ابنيتها الفخمة كلية أُنشئت سنة ١٥٤١ يتبعها مكتبة عظيمة تشتمل على اكثر من ستين الف مجلد وكنيسة جميلة طولها مئة وستون متراً وهي اكبر كنيسة في اميركا كلها . ودار للآثار القديمة قد جُمعت فيها العاديَّات المكسيكية

ومن مدنها المشهورة بيوبيلا وغفاناخاتو . اما بيوبيلا فقد بُنيت سنة ١٥٣١ وهي اول مدينة بناها الاوروبيون في اميركا . علوها ٢١٨٠ متراً وعدد سكانها ٩٣ الفاً . وهي عند المكسيكان مدينة الملائكة وتُسمَّى ايضاً مدينة الكنائس لكثرة معابدها . ومما جاء في وصف احدى هذه الكنائس من كلام الاديب المشار اليه قوله : « وللكنيسة الكبيرة وحدها ساعة دقاقة و١٩ جرساً في قبة واحدة واكثر هذه الاجراس بطول قامة الانسان وهي مختلفة الاصوات وكلما عبر ربع ساعة يأخذون في قرعها على التوالي إيذاناً بانقضاء ربع الساعة فتارة يكون القرع نقراً لطيفاً وتارة جعجعةً خشنة ومرة طقطقةً على عجل وطوراً انيناً عميقاً على مهل واحياناً بين بين وهكذا الى ان تتم جميع الاجراس واجباتها على اختلاف نغماتها فيُعاد الامر على اسلوب آخر بان يؤلف بين نغمة جرسين الى ما شا كل ذلك مما يضيق المقام عن وصفه . ولكل ما ذكر اصول وشروط لا يعرفها سوى اربابها فان الدقَّات معدودة وقبل نهاية كل فصل يضعف الصوت ويتماوت ثم ينتفض فجاءةً بقرعة عنيفة هي الاخيرة »

واما غفاناخاتو فهي في علو ثمانية الاف قدم عن سطح البحر وتبعد عن العاصمة اربع ساعات ونصف الساعة في القطار الحديدي

وعدد سكانها ٥٠ الفاً تغلب عليهم الدعة وعدم المبالاة ويكثر فيهم الشيوخ الطاعنون في السن حتى لقب سياح الافرنج هذه المدينة بمدينة طول الحياة لانهم عدّوا فيها مئات من الشيوخ الذين يعمِّرون فوق المئة ويُعزى ذلك الى ارتفاع المدينة وطيب مناخها وجفاف هوائها. واشتهرت ايضاً غفاناخاتو بكثرة مومياتها حتى ان احد كتّاب اليابانيين يقول في احدى رسائله انه يقدّر عدد الموميات التي رآها في هذه المدينة بنحو خمسين الف موميا

ومن مدنها ايضاً كورا لايارا وسكانها ١٤١ الفاً . وليون (٥٨٠٠٠) ومونتري (٦٢٠٠٠) وميريدا (٣٥٠٠٠) وزاكاتيكاس (٣٣٠٠٠) وفرا كروس (٢٤٠٠٠) وغيرها

***

والمكسيكيون القدماء من امة تدعى التولتك . ولكن في سنة ١٢٠٠ استولت عليها الامة المسماة أوراتيك . وكان لاكثر قبائلها القديمة عادات وحشية فظيعة فمنها انهم كانوا يقتنص بعضهم بعضاً في الحروب والمغازي ويذبح الغالب المغلوب ويفترسه . وفي بعض الروايات انه وُجد في مكان كومة من جماجم المذبوحين بلغت مئة الف جمجمة

اما تاريخها المعروف فيبتدىء من سنة ١٥١٨ فقط حينما اكتشفها القبطان يوحنا غريجلفا الاسبانيولي . وبعد ذلك بسنة افتتحها الاسبانيول بهمة البطل كورتس . وهو من اشهر قوّاد الاسبانيول في ذلك العصر واكثرهم بسالةً ودهاء وأوفرهم جرأة . فقد جاء لافتتاح هذه البلاد العظيمة في اسطول صغير ولم يكن معه من المقاتلة سوى ١١٠ من البحارة

و٥٥٢ من الجنود و٢٠٠ رجل من الهنود . وكل ما كان لديهم من السلاح عشرة مدافع كبيرة واربعة صغيرة ومن الخيول ستة عشر جواداً فقط . هذه هي الحملة التي اجتاح بها كورتس بلاد المكسيك . وقد ولي رئاسة حكومتها من قبل الامبراطور شارلكان ودعاها « اسبانيا الجديدة » وجعل عاصمتها « مكسيكو » عروس مدائن العالم الجديد

ولبثت المكسيك خاضعة لاسبانيا الى ان استقلّت سنة ١٨٢١ وصارت امبراطوريةً . ثم جمهوريةً سنة ١٨٢٣ . بيدَ ان الجمهورية لم تتوطد فيها وكانت دائماً في اضطراب وقتال وذلك لكثرة احزابها واختلاف النزعات فيها . وتاريخها منذ ذلك الحين هو تاريخ ثورات متتالية وتطاحن بين الاحزاب مستمرّ حتى عُدَّت الثورات فيها من جملة الحرَف والصناعات . وفي مدة الخمس والثلاثين سنة الاخيرة غُيّرت الشرائع الاساسية فيها اثنتين وعشرين مرَّة

وفي سنة ١٨٣٦ انفصلت عنها بلاد تكساس وانضمَّت الى الولايات المتحدة سنة ١٨٤٥ فالتظت الحرب بسبب ذلك بين الجمهوريتين ودامت سنتين فانتصرت الولايات المتحدة ودخلت جيوشها العاصمة (مكسيكو) وعُقدت شروط الصلح على اثر ذلك (سنة ١٨٤٨) فاستولت الولايات المتحدة بموجبها على كاليفورنيا السفلى والقسم الاعظم من تكساس ولكنها دفعت للمكسيك في مقابلة ذلك خمسة عشر مليون دولار

ولما اضطرمت الحرب الاهلية في الولايات المتحدة انتهزت انكلترا وفرنسا واسبانيا هذه الفرصة واتفقت على ضرب المكسيك . غير ان انكلترا واسبانيا لم تلبثا ان انسحبتا من ذلك الاتفاق وانفردت فرنسا

وحدها بالعمل فأرسلت سنة ١٨٦١ اسطولاً وجيشاً بقيادة الجنرال بازين واستولت على بعض السواحل واقامت امبراطوداً على البلاد الارشيدوق مكسيمليان شقيق امبراطور النمسا وكان ذلك سنة ١٨٦٤

ولما انتهت الحرب الاهلية في الولايات المتحدة احتجّ الاميركان على تداخل اوروبا في شؤون اميركا فاستردّت فرنسا جيشها واسطولها وقام خوارس (وهو الرئيس الذي كان متولياً الحكم في البلاد قبل تنصيب الامبراطور فيها) يثير الفتن ويهيج الشعب على مقاومة الامبراطورية واعلنت الولايات المتحدة رضاها عنه ووعدته بكل مناصرة فاشتدّ بذلك ساعده وانحاز اليه اكثر الاهلين وانتشبت الحرب بين حزبه وحزب الامبراطور وكانت العاقبة لخوارس فقبض على الامبراطور وسجنه الى ان حُكم عليه بالاعدام فقُتل في ١٩ حزيران سنة ١٨٦٧ رمياً بالرصاص وعاد خوارس فاستلم رئاسة الجمهورية ولبث فيها الى ان توفي سنة ١٨٧٦ . فانتُخب للرئاسة خليفةً له لاردو ده نجادا وكانت الفوضى مستحوذة على البلاد كل مدة رئاسته فنُفي وأُقيم بدلاً منه بورفيريو دياز (سنة ١٨٧٧) وكان قاسياً سفاحاً شديد الانتقام فأخمد الثورة ونكّل بزعمائها اشدّ التنكيل واستأصل شأفتهم وساس البلاد احسن سياسة فانقادت له . غير ان الولايات المتحدة لم تلبث ان أثارت الفتنة من جديد وعضدت اصحابها فخُلع دياز وانتُخب ماديرو . وهذا قتله هوارتا ونصب نفسه رئيساً للجمهورية مكانه . والخلاف الشديد قائم الان بين هوارتا وفليكس دياز ابن اخي بورفيريو دياز . ويُقال بالاجمال ان السكينة لا يمكن ان تستتبّ في بلاد المكسيك لِما علمتَ من

الاسباب، ولا تلبث هذه البلاد ان تنضمّ الى الولايات المتحدة عاجلاً او آجلاً والله أعلم



الحرية والمعيشة

هذا اسم كتاب ألفه صحافي اميركي بعد ان عاش مدة طويلة في نيويورك وثبت له بالاختبار ان عيشة التمدن كلفتهُ نفقات لا تساويها هي وبان له انه غير حاصل على ما هو مستحق في الحياة لانه كان بعد ان يدفع كل ما عليه من الحسابات الجارية يجد نفسهُ فقيراً معوزاً ورأى انه اذا هجر المدينة وعاش معيشة طبيعية بدل المعيشة الاصطناعية يحصّل بتعب قليل جداً ما يفي بكل حاجاته ويبقى ما يمكنه اقتصاده . فعمل بما ارتآه وبنى بيتاً في مكان منفرد على الساحل وعاش هناك حياة طبيعية محصلاً نفقاته بتعب يديه ووجد نفسه اخيراً أصح وأسعد

ترى ان الحقيقة المركزية التي تدور عليها مباحث الكتاب ان التمدن اعني المعيشة الاصطناعية العالية لا تستحق ما ننفقهُ عليها وان المعيشة الطبيعية أصح وأقل نفقة . ولنضرب لك مثلاً يبرهن ذلك : ان احدى المشاكل الاجتماعية في الوقت الحاضر نموُّ المدن وازدحامها . — كل احصاء جديد يبين ان سكان القرى في تناقص مطرد وسكان المدن في ازدياد مطرد . ولا ريب ان من اكبر دواعي ذلك وجود الصنائع العديدة ومراكز العمل المختلفة في المدن . ومنها اعتقاد اكثر الشبان ان

الحياة في المدينة تكسب المرء معاشرة وتهذيباً وان ذلك مفقود في القرى أصحيح ذلك ؟ – جوابي النفي البات

في المدينة لا يعرف المرء من احوال جاره شيئاً فالمعاشرة محدودة كثيراً . واما التهذيب فما انا من يجهل وسائله الكثيرة في المدن مثل الخطب والمدارس الليلية وما شاكلهما . ولكن لا تنسَ ان تضع تجاه ذلك قلة اوقات الفراغ . في القرية او البلدة الصغيرة يعيش الانسان قرب شغله فلا يضيع شيء من الوقت بين انتهاء العمل وابتداء العطلة . اما في المدن فالمرء مضطرّ الى السكنى في مكان بعيد عن شغله، وعندما يقال ان عاملاً يبتدىء شغله في المعمل الساعة السادسة مثلاً يجب ان يُفهم انهُ في الحقيقة يبتدىء الساعة الرابعة ونصفاً ، لانهُ يجب ان يستيقظ في تلك الساعة ويتناول طعام الفطور ثم يسير او يركب آتياً الى عمله ، وعندما يُقال ان عاملاً ينتهي من العمل الساعة السادسة في المساء مثلاً يجب ان يُفهم انه في الحقيقة ينتهي الساعة السابعة ونصفاً ، لانك يجب ان تضيف الوقت الذي يصرفه في العودة الى بيته . وكلما ازدادت المدن اتساعاً طال الوقت الذي يضيع في الذهاب الى مكان العمل والاياب منهُ . ذلك لان مراكز المدن تصبح ادارات للعمل فيضطر العمال الى السكن في اماكن أبعد فأبعد . وهذا امر مهم . لانه كلما ازداد الوقت الضائع قلَّت ساعات الفراغ وقلَّت بقلتها وسائل التهذيب . فوسائل التهذيب اذن متوقفة على نوع العمل الذي يمارسه الانسان في المدينة

ثم ان هناك دافعاً اخر يدفع الشبان الى سكنى المدن هو اعتقادهم بالحصول على الراتب الكبير . لا شك انهم يحصلون راتباً كبيراً ولكن

أيبقى في الجيوب من ذلك الراتب شيء كثير ؟ (هذا اذ لم اقل شيء ما). فكّر في الاسباب الكثيرة التي تضطرّ المرء الى الانفاق كالقطرات والعربات والمطاعم والجرائد والتنزهات . أضف الى ذلك الزيادة الفاحشة في اجور المساكن والمعيشة اليومية والثياب الفاخرة الثمينة . واذا كان المرء ربّ بيت لا يجد بدًّا من نفقات اخرى كثيرة فيركب مركبًا خشنًا في دفع نفقات مسكن كبير وكسوة امرأته وتهذيب اولاده ووسائل التنزه التي لا تكلّفه في القرى شيئاً . أضف الى ذلك ايضاً النفقات على الصحة ، لانه لما كانت المدن كثيرة الازدحام ساءت الصحة مهما بُذل من العناية في تحسينها ، فلا غنىً عن الطبيب لعضو او اكثر من اعضاء الاسرة ، وهذا لا يحتاج اليه ساكن القرية . أضف الى ذلك كله نفقات العطلة السنوية التي بدونها لا يتأتى للمرء المحافظة على صحته وقواه . اعتبر ذلك كله ترَ ان المعيشة في المدن تزيد نفقاتها على نفقات معيشة القرى خمسة وعشرين بالمئة ، وان قلت خمسين كنتَ اقرب الى الصواب . فراتب مئة ليرة سنوياً في القرية يساوي مئة وخمسين في المدينة دون جدال . هذا بقطع النظر عن الصحة والسرور ، لاننا كلما كنا اقرب الى الطبيعة كنا أصحّ وأسعد من جهات عديدة

ثم ان من اكبر الاعتراضات على معيشة القرى قلة ما فيها من وسائل التهذيب . ولكنه ظن لا اساس له وبعض الظن اثم ، لاننا في عصر تصل فيه الكتب والجرائد والمجلات العلمية الى أصغر قرية . هل خطر لك ان سكان لندن لا يعرفون من احوالها اكثر مما يعرفه ساكن القرية ! ذلك لان الحوادث حالما تقع ينقلها البرق والبريد الى كل انحاء

المملكة. ثم ان في بعض القرى مكاتب يؤمها طلاب العلم ويستخرجون ما فيها من الكنوز ويجد قاصدوها وقتاً طويلاً للمطالعة في حين ان ساكن المدن لا يتأتى له ذلك لِما هنالك من الارتباك والاضطراب. وكلما ازداد المرء ارتباكاً واضطراباً وكثرت لديه الاهتمامات والانفعالات ضعفت فيه قوة الانتباه والتأمل وهي اساس تهذيب الفكر. مَن منا لم يفقه ان مظهر المدينة العظمى وضجيج شوارعها يتعب الذهن وينهك الاعصاب. ومَن منا لم يلاحظ ان قراءة كتاب بهدوء في حضن الطبيعة الساكنة أجزل فائدة وأبقى اثراً في الذهن من قراءته في اضطرابات المدينة. ومما لاجدال فيه ان اعاظم المفكّرين لاتجدهم في المدينة. لاينكر ان في المدينة كثيرين من ذوي الحذق والنباهة وسرعة الخاطر يتناولون موضوعاً ويبدون رأيهم فيه حالاً ولكنهم لا يتعمقون في البحث فيه. وكيف يمكنهم ذلك ما دام دوي القطرات وقرقعة الدواليب ووقع حوافر الخيل تكاد تصمّ الآذان وتقطع مجاري الافكار. ومَن ينكر ان مفكّري الامة المشاهير مثل تنيسون وتندل ومرديت ودروين، ولو شئت لملأت من اسمائهم صفحة كاملة، اختاروا الابتعاد عن المدن وسكنى القرى. ذلك لانهم رأوا ان اضطراب المدن وضجيجها لا يمكّنانهم من العمل العقلي

وعلى الجملة فاننا اذا أنصفنا في الحكم رأينا ان المتهذبين تهذّباً حقيقياً في القرى اكثر منهم في المدن. فلا يخطرنّ لاحد ان في الابتعاد عن معيشة المدن ابتعاداً عن وسائل التهذيب

ان صالح الهيئة الاجتماعية متوقف ليس على نموّ المدن بل على ترقية

الحياة الاجتماعية في القرى . حقاً ان ترقية الحياة الاجتماعية في القرى من امسّ حاجات الزمن الحاضر . ومن سوء حظ الامة ان تنصبَّ كل قوة القرى الى المدن فتصبح القرى خاوية خالية من كل ما يبهج الاديب ويلذ المتهذب ، اذ يهجرها الشبان الادباء عند اول فرصة تسنح لهم

ان السعادة ليست بجمع الثروة بل بتحديد المطاليب . لاشيء اسهل من اكثار مطاليب الحياة الاصطناعية ولكن قليلين بيننا يحسبون نفقتها . وما فائدة كبر المدخول اذا كانت نفقاتنا على اشياء غير ضرورية تربو على مداخيلنا . فترى اننا انما نحصّل اكثر لكي ننفق اكثر ، فنكلف انفسنا اكثر من وسعها ثم ننفق على ملذات لا طائل تحتها وهي لا تزيد الحياة الا عناء والمعيشة الا تكلُّفًا . على ان الوفاً من البشر مندفعون في هذا التيار : يكترون بيوتاً كبيرة وينفقون على المآكل وسائر الحاجيات نفقات اكثر كثيراً مما تستحق وهم عن احوالهم لاهون

ان غاية الحياة ليست الكسب بل المعيشة الحقيقية والذي يعيش حقيقة « هو الذي يفكّر اكثر وله عواطف شريفة ويعمل افضل ما يمكنه » فاذا سلمنا بفلسفة الحياة هذه لم نتردَّد في الحكم بان كثيراً من بهرجاتنا الاجتماعية وفضولياتنا المدنية رائدها الجنون والطيش وهي تكلفنا اكثر مما تساوي . وهذا ما عناه السيد المسيح بقوله « الحياة افضل من الطعام » وامرنا بان لا « نهتم بالغد »

وهذا ما يحدوني على الكلام عن المال ولو بالايجاز . ما اقلَّ مَن يكتبون عن المال في هذه الايام حاسبين انهم بذلك يستهدفون لسهام انتقاد الناس ، ولكن ما أجهل مَن لا يعرف ان مقدرتـه على العمل

ستضعف يوماً ما ولا يذخر ما يقوم بـه اثناء العجز والضعف . ايها الشاب ! ان المال الذي تجمعه في الشبيبة هو اساس استقلالك . ولا تفهم من كلامي انك يجب ان تكون بخيلاً ، بل ان تجتنب التبذير والاسراف . وربما جاء وقت في حياتك ترى فيه ان وجود المال بين يديك يؤثر كثيراً في مجرى حياتك فيخلصك من عناء زائد او يعينك على استرجاع قواك او يؤهلك للقيام بعمل مستقل او يُعدّك لعمل لك فيه راحة ومقنع

اما الدَّين فاياك واياه . اني اعرف كثيرين من الشبان كان الدَّين سرّ خرابهم . الدَّين لا يلائم الادب ولا صلـة بينهما . قال الرسول « لاتكونوا مديونين لاحد بشيء » . الدَّين ينتج الشقاء دائماً وقد يحمل المَدين على الخيانة والسرقة الى ان ينتهي به الامر الى السجن او المشنقة . ومن اول واجبات الانسان ان يمدَّ رجليه على قدر بساطه مهما كان صغيراً وان امكنه ان يضمّ رجليه بحيث يبقى على البساط متسع كان ذلك خيراً له وأبقى اذ يجعله بمنجاة من الحرج والضيق

عن الانكليزية — **نوفيو زيس**



من حكم المتنبي

وما انتفاع اخي الدنيا بناظره ... اذا استوت عنده الانوارُ والظلَمُ

وإطراقُ طرف العين ليس بنافعٍ ... اذا كان طرفُ القلب ليس بمطرقِ

وما الحسن في وجه الفتى شرفاً له ... اذا لم يكن في فعلهِ والخلائقِ

وأتعبُ خلق الله مَن زاد همهُ ... وقصَّر عما تشتهي النفس وجدهُ



الصَّدى

﴿ رواية تاريخية ﴾

حدث ما يأتي في سيراقوسا

وكانت سيراقوسا عاصمة جزيرة صقلية (سيسيليا) وهي مدينة قديمة مصَّرها اناس رحلوا اليها من كورنثوس سنة ٧٣٤ ق.م . وكان يحكمها في الوقت الذي حدثت فيه الحادثة التالية ملك يُقال له ديونيسيوس ، وهو طاغية شديد الوطأة سفَّاك للدماء لم تكن تأخذه في احد رحمة ولا شفقة

وحدث ان نشبت حرب في عهده بين السيراقوسيين والاثينيين . وحاصر الاثينيون مدينة سيراقوسا سنةً كاملة وقُتل في آخر الامر قائدهم ، ففشلوا وتضعضعت قواهم وارکنوا الى الفرار . فتتبَّعهم السيراقوسيون وقتلوا منهم خلقًا كثيراً وأسروا سبعة آلاف جندي عادوا بهم الى المدينة وهتافهم يملأ الفضاء وقد زيَّنوا المدينة بمظاهر الزينة وقضوا اياماً بعد ذلك في الملاهي والسرور

وكان الملك ديونيسيوس اكثر الجميع افتخاراً واستبشاراً بهذا الانتصار وقد اشتدَّ ساعده وقويت شوكتهُ وزادت هيبتهُ في قلوب رعيته . ولبث مدة يقيم لاكابر دولته الولائم والملاهي والالعاب ما أنساهم جوره وعسفه وأطلق ألسنتهم بالدعاء له

اما الاسرى فأحبَّ ديونيسيوس ارواءً لغليل انتقامه ان يُنزل بهم عقاباً لم يسمع به احد منذ تكوين العالم . وكان في سيراقوسا ديامیس

هائلة على عمق مئة وخمسين قدماً تحت الارض تحدق بها من كل جهة صخور شاهقة منيعة ، فأمر الملك ان يُطرَح جميع أسرى اليونان الى هذه الدياميس ليموتوا فيها في أشدّ انواع العذاب جوعاً و يأساً وجنوناً . ثم أمر فسدَّت منافذ الدياميس بالحجارة الضخمة فأصبح الاسرى في ظلام دامس وقد دُفنوا احياءً في بطن الارض ولا امل لاحد منهم بالنجاة او الحياة

وكان ديونيسيوس قد اكتشف في سطح بعض الصخور الهائلة شقاً عميقاً يؤدي الى اعمق حفير في تلك الدياميس فكان يأتي كل يوم فيجلس قرب هذا الشق ويمتّع سمعه بصدى انين الاسرى واصوات قنوطهم ونحيبهم ويعود بعد ذلك الى قصره وقلبه طافح بالهناء

وفي احد الايام وقد أولم هذا الطاغية في قصره وليمة فاخرة لرجال مملكته وجلس هو بينهم يشاركهم في الشراب والملاهي وقامت الراقصات والنافخات في النايات واللاعبات بالمعازف والمغنّيات يطربن الحضور بالرقص الفتّان واطايب الانغام استلفتت بصر ديونيسيوس فتاة رائعة الجمال كانت ترقص فتحيّر الابصار وتنفخ في الناي فتخلب الالباب . فاستدعاها ديونيسيوس ونظر اليها باشاً وقال — مَن انتِ وما اسمك ايتها الفتّانة ؟

فاطرقت الفتاة برأسها وقد صبغ الاحمرار وجنتيها وقالت بصوت يرتعش — اسمي مليتا ايها الملك

قال — ومَن علّمك ان تنفخي في الناي بمثل هذه المهارة العجيبة وتنشدي هذه الانغام الساحرة ؟

قالت — النجوم ... النجوم يا سيدي الملك قد علّمتني ذلك

فبهت ديونيسيوس وقال — النجوم ؟ وكيف ذلك ايتها الجميلة بين العذارى ؟

فقالت الفتاة وقد انتعشت نفسها وزال اضطرابها — اعتدتُ ياسيدي الملك ان اخرج كل مساء الى الحقول والرياض لاشاهد توقُّد النجوم الزُّهر في القبة الزرقاء فأُمتّع بصري برؤيتها ونفسي بمناجاتها . وما زلتُ كذلك الى ان أوحت اليّ باسرارها وكاشفتني بانغامها وأخبارها . وها ان ما تسمعه مني الان من الاغاني الشجية والالحان المطربة لهو صدى ما أفضت به اليّ تلك النجوم اللوامع

فدهش الملك وزاد اعجاباً بالفتاة وارتياحاً اليها ثم قال — انكِ قد نلتِ حظوةً في عينيّ . فتعلّمي ايتها المليحة ما شئتِ من علوم النجوم وانغامها واذا كنتِ في حاجة الى شيء فاعلمي ان ديونيسيوس مستعد ان ينيلك ما تبتغين

فعادت الفتاة الى رفيقاتها وهي تختال طرباً وامتلأ المكان في الحال بضجيج الاستحسان والهتاف واستؤنف الرقص والعزف الى الصباح

***

وبعد ايام خرجت مليتا من منزلها تطوف على عادتها بين الحقول والرياض وكانت الليلة قمراء وقد سطع البدر وتلألأت النجوم في القبة الزرقاء فوقفت حيناً على ضفاف نهر انابوس الجميل تسمع خرير مائه في سكون ذلك الليل وقد هبّ في وجهها النسيم اللطيف فأنعش نفسها وجدّد قواها فطاب لها التطواف فسارت في طريق الملهى البلدي الجميل

ولم تشعر الا وقد قادتها قدماها الى الصخور الهائلة القائمة عند مدخل الدياميس فاتخذت لها مجلساً على صخر هناك واخذت نايها وجعلت تنفخ فيه وتنشد انغاماً شجية تتصاعد الى الجو وتنتشر في الافق فتملأه عذوبةً

وانها لكذلك واذا بها قد استوقفها سماع صوت ضعيف صادر من بين تلك الصخور يقول – شفقةً ورحمةً ايها النافخ في الناي !

فذعرت مليتا وقد اعترتها الدهشة فتركت الغناء واخذت تجيل بصرها في ما حولها لتعلم جهة الصوت واذا به قد عاد الى الاستغاثة ثانيةً وهو يقول – اشفق عليّ ايها الجالس عند مدخل الدياميس وارثِ لحالي فاني اكاد اموت ألماً في بطن هذه الارض

فعلمت مليتا ان الصوت الذي تسمعه خارج من بعض تلك الدياميس فحارت في امرها وشعرت بأشدّ عواطف الشفقة تدفعها الى البحث عن مصدر الصوت بين تلك الصخور الضخمة ولم تلبث ان اهتدت الى شقٍّ هناك استجلت منه كلام المستغيث فوقفت عند حافته وقالت – مَن انت يا هذا وما الذي تريده مني ؟

فقال صاحب الصوت – انا اثينوي واسمي افتيل ولا ازال في زهرة شبابي لاني في الربيع الثامن عشر من عمري فأريد الحياة .. اريد ان اخرج من جوف هذه الارض لاعود فأرى نور الشمس .. وقد قضيتُ في هذا المدفن خمسة ايام بلياليها أقتات بالاعشاب والجذوع حتى خارت قواي واصبح الموت يتهددني في كل لحظة .. فأشفق عليّ !.. ان الالهة قد حبتك الكمال في الفن وهي لا تمنح مواهبها الا لذوي النفوس الشريفة والقلوب الرقيقة .. قل لي مَن انتَ وهل في استطاعتك

ان تغيثني ؟

فقالت مليتا – انا فتاة ضعيفة فكيف لي ان انقذك مما انت فيه ؟

قال – حبلاً ايتها الحسناء !

قالت – حبلاً ؟ ولكن كيف لي ان اجد حبلاً في هذا القفر ! وان وُجد ما تطلب فكيف لي ان انتشلك من هذه الهوة العميقة ؟

فزفر الشاب زفرة هائلة وقال بصوت يذيب الجلمود – اذاً قد قُضي الامر وانا هالك لا محالة ! .. وهذا الصوت الجميل الذي سمعتهُ وأحيا فيَّ الرجاء سيكون آخر صوت حي أسمعه بل هو صوت الرثاء الذي تندبني به الحياة وتختم به قبري

فشعرت مليتا بما يمزق صدرها عندما سمعت هذا الكلام وللحال خطر لها خاطر اشرق له وجهها فقالت – لا تستسلم لليأس ايها الاثينوي الغريب فاني سأُنقذك مما انت فيه .. وستسمع غداً صوتي ثانيةً فتعود الى الحياة

فقال – لتكن الالهة عوناً لكِ ايتها الحسناء !

***

وفي صباح اليوم التالي جاءت مليتا فمثلت امام الملك ديونيسيوس فسُرَّ لقدومها عليه وسألها حاجتها . فقالت – جئتُ يا مولاي أُنشدك ما تعلمته امس من النجوم

ثم اخذت نايها وجعلت تنشد بصوتها الرائق العذب الحاناً أسالت دموع الملك تأثراً . فقال لها – وعدتكِ ان اقضي لكِ كل ما انتِ راغبة فيه فهل في نفسكِ حاجة ترومين ان تفضي بها اليَّ ؟

قالت — نعم يا سيدي

قال — وما هي ؟

فوقفت مليتا على قدمي ديونيسيوس وقالت — اسألك يا مولاي الرحمة والشفقة ! . . أسألك ان تهب الحياة لمن لا يزال حياً في الدياميس من أسرى اليونان ولا اظنك الا ملبّياً سؤلي

فبهت الملك وقال — وهل هذا كل ما انتِ راغبة فيه ايتها الحسناء ؟ كنتُ اظن انك ستطلبين ما تتوق اليه نفس امثالكِ من الجواهر الكريمة والحلل الفاخرة ونفائس الزينة الجميلة

قالت — حسبي اذا انت قضيت لي هذه الحاجة فهي عندي اجمل زينة تزدان بها نفسي

قال — بورك فيكِ ايتها الحسناء الشريفة لانكِ استطعتِ بعذوبة صوتكِ ورقة نفسكِ ان تستولي على قيادي وتتصرفي بي كما تشائين . . فأنا اهبكِ كل مَن لا يزال حياً من اولئك الاسرى ليعلم جميع سكان الارض مقام الفنون الجميلة في سيراقوسا

وفي الحال امر الملك فدُحرجت الصخور عن مدخل الدياميس وانتُشل منها مئة رجل اثينوي كانوا لا يزالون احياء وقد جثوا كلهم امام مليتا يشكرون شهامة عواطفها ورقة شعورها بكلمات تخنقها العبرات الحارّة . ولم يلبثوا ان تركوا سيراقوسا وعادوا الى اوطانهم يذيعون فضل مَن احسنت اليهم بالحياة

ولم يبقَ منهم في سيراقوسا الا افتيل وكان من اجمل شبان عصره وارغبهم في الفنون الجميلة وقد تعلم منذ حداثة سنه صناعة النقش والنحت

فأقام في منزل مليتا واقفاً حياته لخدمتها وعبادتها . ولم يلبث ان اصبح امهر نحَّات في سيراقوسا وكانت التماثيل التي يصنعها موضوع اعجاب الاهلين عموماً . وكان اكثرها اتقانًا وجمالاً تمثال من المرمر النقي مثَّل به مليتا الجميلة جالسة على صخر عند مدخل الديماميس والناي في يدها

وكانت مليتا لا تجد سرورًا ولا هناء الا بصحبة افتيل وقد صار له في صدرها اعظم حب . ولم يمضِ على ذلك الا مدة قصيرة حتى اشتدَّ هيام كلٍ من الحبيبين بالآخر فاقترنا وعاشا حياةً سعيدة لا يشوبها كدر



لطائف

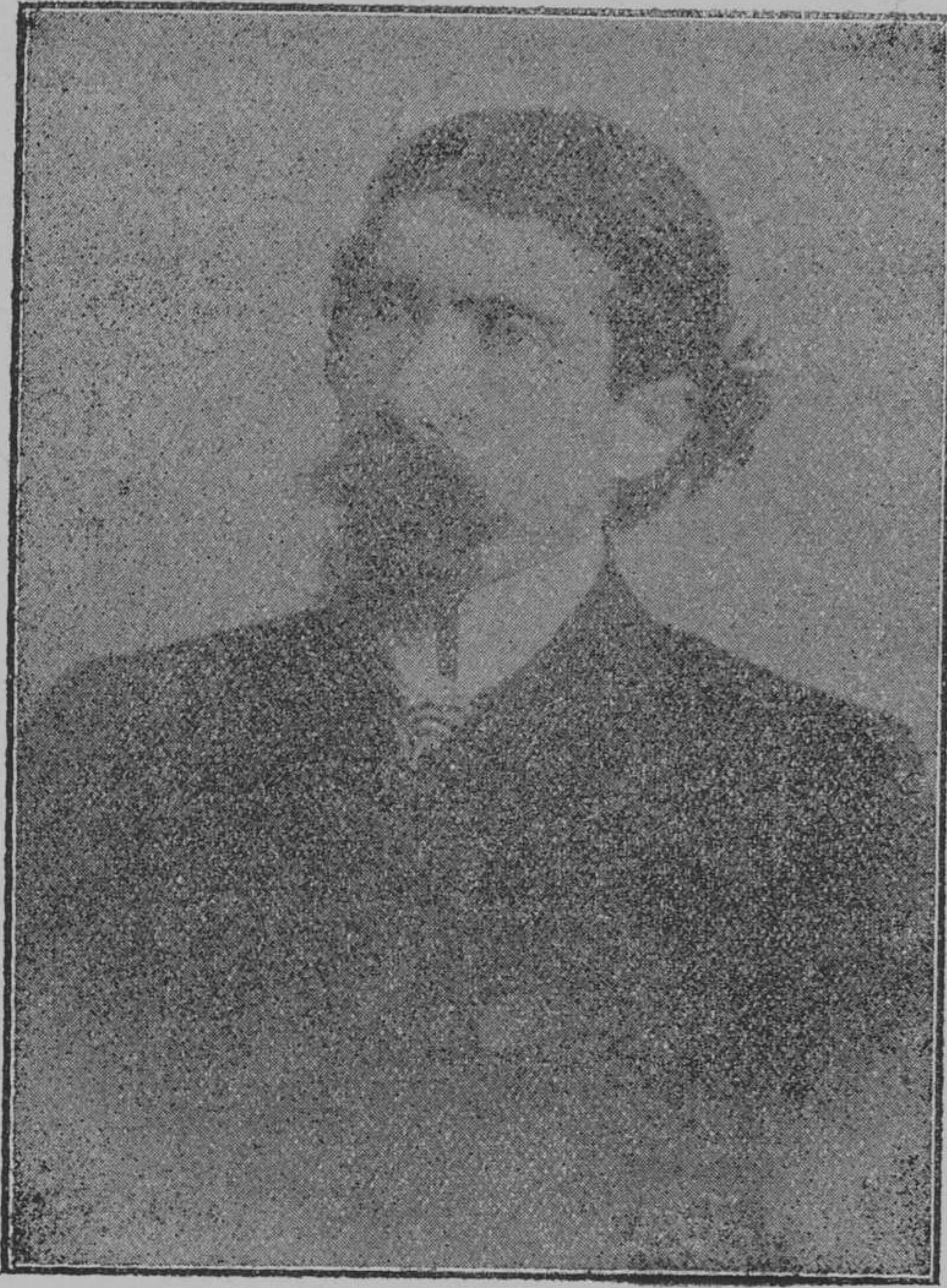
رُوي عن الرشيد انه أحضر رجلاً يولّيه القضاء . فقال — يا أمير المؤمنين إني لا أُحسن القضاء ولا انا فقيه . فقال الرشيد — فيك ثلاث خلال : فيك شرف والشرف يمنع اهله من الدناءات ، ولك حلم والحلم يمنعك من العجلة ومَن لم يُعجل قلَّ خطأه ، وانت رجل تشاور في امرك ومَن شاور كثر صوابه . واما الفقه فسينضمُّ اليك مَن تتفقَّهُ به . فوُلّي فما وُجد فيه طعن

وقيل للاحنف — مَن أحلمُ انت ام معاوية ؟ فقال — والله ما رأيتُ اجهلَ منكم، انَّ معاوية يقدر فيحلم ، وانا احلم ولا اقدر ، فكيف أُقاس عليه او أُدانيه

وُحكي ان غلاماً هاشمياً عربدَ على قومٍ فأراد عمهُ ان يُسيء به ، فقال — يا عم اني قد أسأتُ وليس معي عقلي ، فلا تُسيء بي ومعك عقلك

وقال رجلٌ للمبرِّد — أسمعني فلان في نفسي فاحتملتهُ وأسمعني فيك فاحتملتهُ . فقال — احتمالك في نفسك حلم وفي صديقك غدر





رسومنا تفنى واجسادنا تبلى وهذي سنّةُ الكونِ
وليس يبقى غير آثارنا مَن لي بآثارٍ بها صوني
قسطاكي الحمصي

مُعجِزات الباريسيّات

لحضرة الشاعر الناثر المشهور قسطاكي بك الحمصي صاحب الرسم

غادةٌ حسنُها مَثَلْ ظبيةٌ قدُّها أَسَلْ
طَرْفُها مكمن الأَجلْ ريقُها جدولُ العَسَلْ
صوتُها يبعثُ الأَمل

خلتُ مذ هدَّد المشيب لم يَعُدْ في الهوى نصيب
لا حبيبٌ ولا رقيبْ لا أُصابُ ولا أُصيبْ
سُنَّةٌ ما لها بَدَلْ

لم اكن احسَب الهوى قد عصي الشرعَ والتوى
او بباريسَ قد نوى فتنتي بعدما غوى
بيَ فتَّانةَ المقَلْ

قلتُ مذ طرفُها شَخَصْ بي لقد بتُّ في القفصْ
انظروا كيف قد قَنَصْ ظبيُ باريسَ وارتخص
مهجةَ ربُّها بَطَلْ

يا غرامي ومهجتي ومرامي ونعمتي
ايُّ داعٍ لحظوتي بعد توديع صبوتي
قد دعاكِ وما مَهَلْ

فاجابتْ وثغرُها باسمٌ لي ونحرُها
فتَّ صبري وعطرُها هدَّ عزمي وخصرُها
قد تشكَّى من الكَفَلْ

انتَ من سائر الورَى فيكَ معنىً بهِ ارى
نحوهُ الحبُّ قد جرى ليس مَن ذاق او درى
طعمَهُ مثل من عَذَلْ

فيكَ نفسٌ لها الصِبا عاشقٌ هجرَها أبى
وانا ربَّةُ الظبا ادبُ النفسِ قد سبى
منكَ قلبي فلا خجل

انتَ يا ساحرَ النُهى انتَ يا عاشق ألمها
انتَ يا شاعر البَها ليس للعشق مُنتهى
فيكَ فاقبلْ بلا وَجَلْ

انتَ يا مُشبِهَ النسيمْ انتَ لي غاية النعيم
كيف تحيي ولا تهيم بكَ خودٌ لها نديم
شعرُكَ البكرُ والغزَلْ

ايَّ حسنٍ كشفتَهُ في الورى ما وصفتَهُ
ايَّ وردٍ قطفتَهُ ايَّ غصنٍ لففتَهُ
لم تعطّرْهُ بالقُبَلْ

انتَ يا ناظم البديعْ لك قلبي غدا مُطيعْ
انتَ عندي من الجميع انتَ من عصرنا الربيع
كن لنا دائمَ الجزَلْ

باريس في ١ نيسان سنة ١٩١٣

آباء بعض مشاهير الرجال

كان اكثر مشاهير الرجال خاملي النسب عديمي الثروة . فمنهم ابيكوروس من اشهر حكماء اليونان فان اباه كان راعياً . وديموستين خطيب اليونان كان ابوه حدّاداً . ولوتيروس زعيم الاصلاح كان ابوه من فَعلة المناجم . وتيمورلنك ملك التتر الواسع المملكة كان ابوه راعياً . وايراسموس اعظم علماء القرن الخامس عشر كان ولداً لقيطاً وصار في مبدإ امره مرتلاً . وسكستوس الخامس من اعظم احبار النصرانية كان ابوه راعي خنازير . وسقراط الفيلسوف العظيم كان ابوه نقاشاً فقيراً

جواسيس الحرب

كلما انتشبت حرب بين دولة واخرى يكثر في صحف الاخبار ذكر الجواسيس والقبض على بعضهم .. فمَن هم هؤلاء الناس وما هي الفائدة من تعيينهم ؟

للجاسوسية في ممالك اوروبا اعظم شأن ولا سيما فيما يتعلق بالحروب. وكلما كانت المملكة راقية يقظة ارتفع شأن الجاسوسية عندها. وللجواسيس في كل مملكة اليد الطولى في اكتشاف الاسرار واستطلاع كل خفيّ من شؤون الممالك الأُخر . فاليهم يُعهَد الاطلاع على كل حركة من حركات الجيوش ومعداتها وعددها وذخائرها وحركة التجارة والثروة وطرق المواصلات والبريد واحوال القواد والادارة واعماق الانهر والجسور والحصون والمستشفيات وغير ذلك من الامور التي قد يظنها القارئ قليلة الاهمية ولكنها تفيد اربابها الفوائد الخطيرة وتكون في اغلب الاحيان اكبر باعث على الحروب كما تكون اكبر مانع لاثارتها

والجواسيس وان كانوا في نظر الرأي العام مجرمين ولصوصاً غير انهم للمملكة التي ينتمون اليها اكبر قوة وأحسن دليل وبدونهم لا تستطيع دولة في هذا العصر ان تشهر حرباً على اخرى قبل ان تقف على تقارير جواسيسها وتدرس هذه التقارير درساً مدققاً . والحكومة التي تضرم لظى الحرب على غيرها وليس لها جواسيس في بلاد عدوّها تكون

تلك الحرب وبالاً عليها

لذلك ترى الحكومات تتسابق الى تعيين احذق الناس في سلك الجاسوسية وبثّ هؤلاء الجواسيس في كل البلاد . وفي التاريخ عدة شواهد على استخدام الجاسوسية في العصور السابقة وعلى الفوائد الجليلة التي كان يقدمها الجواسيس لاولياء امورهم

فهنيبال القائد القرطجني الشهير لم يُقدم على اجتياز الالب الا بعد ان ارسل جواسيسه ترود تلك الجهات . ويوليوس قيصر لم يستول على بريطانيا الا بعد ان وقف على احوالها ودرسها درساً مدققاً بواسطة جواسيسه . ومازاريني ولوفوا والبرنس اوجين سافوا و فريدريك العظيم كانوا لا يعملون عملاً قبل الاعتماد على جواسيسهم وروّادهم . ونابوليون بونوبارت قبل ان جال في اوروبا جولاته المشهورة زرعها من اقصاها الى اقصاها بالجواسيس فكان له في كل بقعة من اوروبا عين تبصر واذن تسمع وقد قام جيش جواسيسه في حروبه ووقائعه باكثر مما قامت به جيوشهُ وقوّادهُ . وقبل ان انتشبت الحرب الروسية اليابانية ببضع سنوات جاس رجال اليابان وحسانهم الجهات الشرقية من سيبيريا الروسية واطلعوا على كل ما ارادوا الاطلاع عليه من احوالها واماكن الضعف فيها

وللجواسيس في استطلاعاتهم طرائق وخطط لا يعرفها سواهم ولهم في كل جيش وفي كل وزارة من الوزارات الحربية ادارة مخصوصة تتخذ احياناً من أبسط المعلومات افضل الادلّة وأصوب النتائج وقد يكون للدليل الواحد من هذه الادلّة في بعض الاحوال احسن فائد

للجيش المحارب كله

ومن الارشادات الموضوعة للجواسيس ان لا يكتفوا بمعرفة احوال البلاد التي تريد دولتهم محاربتها بل عليهم ان ينبثّوا ايضاً على حدودها ويدخلوا بلاد جاراتها من الدول ويدرسوا كل علاقة بين بلاد وبلاد

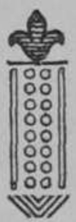
وكل دولة يقظة تبعث بجواسيسها الى الدول الاخر قبل نشوب الحرب بينها وبين احدى هذه الدول لا في زمن الحرب لان ذلك قلّما يفيدها . وهي ترسل هؤلاء الجواسيس في ازياء مختلفة ومن طبقات شتى من السكان . وهم ان كانوا من مَهَرة هذا الفن فانهم يتجنبون كل ما من شأنه ان يبعث على الريب ويثير الظنون . واما اخبارهم ومعلوماتهم فلهم في ارسالها الى مركز ادارتهم طرق شتى كحمام الزاجل وبريد القناني وغير ذلك مما هو معروف عندهم

وللمرأة بين الجواسيس المقام الاول لانها تستطيع ان تبلغ ما لا يبلغهُ الرجل من اكتشاف الاسرار واستطلاع اهمّ الاخبار . فهي في مرسح التمثيل او الخدمة في البيوت والمخازن والمطاعم او مغازلة الحبيب تستطيع ان تراقب كل حركة وتعي كل كلمة وتنقل كل ذلك الى حيث تريد

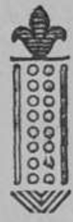
واشهر دول اوروبا بالجواسيس في العصر الحالي المانيا فلها في فرنسا وحدها جيش كامل من الجواسيس يُقدَّر بخمسة وثلاثين الفاً وهم منبثُّون في كل جهات فرنسا بصور شتى فمنهم الصيادون والخَدَم وسائقو العَرَبات ومنهم الاوانس الحسان الجاريات في كل رهان والعجائز والشيوخ والغلمان والطهاة في الفنادق والقُسُس في المعابد والفعلة والمصوّرون والحصَّادون وارباب الموسيقى وغير ذلك من اصحاب

المهن وكلهم قائمون بخدمتهم احسن قيام يتقاضون من دولتهم الرواتب المخصوصة ويفضون اليها بكل سرّ من الاسرار التي يتمكنون من ادراكها . ولا شك ان لفرنسا ايضاً في بلاد الالمان امثال هؤلاء الجواسيس كما ان لكل دولة في بلاد غيرها متطوّعين من هذا النوع يقلُّ عددهم او يكثر بنسبة تيقُّظ الدولة واهتمامها





الشعر والانقلاب السياسي



حضرة الفاضل صاحب النفائس الغراء

جمعني صيف زحلة بالشاعر الرقيق حليم افندي دموس ، فذكرتُ له ابياتاً من الشعر الافرنسي لها واقعة حال تاريخية وطلبتُ منه نظمها بلغة قومنا ففعل ، وها انا مرسل اليكم ما نظم لتطرفوا بـه قراء مجلتكم الزاهرة

الابيات كما قلت لها واقعة حال من الواجب سردها ليُفهَم سرُّها وتتمّ الغاية من نشرها ، وخلاصة ما يُقال فيها ان رواة التاريخ على اتفاق تام بانه لم يقم على عرش فرنسا ملك فاسد الاخلاق نظير لويس الخامس عشر . فقد استسلم هذا الملك للفسق والفساد وصارت امور المملكة تُدار بايدي السراري والحظايا ، ويوم نُصح في ذلك قال كلمته المعروفة « ليكن بعدي الطوفان ! »

وقد تفنن لويس الخامس عشر في استنباط انواع الشهوات الفاسدة حتى اسَّست له احدى حظاياه وقد كبرت وشاخ هو داراً لتربية صغار البنات دعاها « بارك اوسرف » اي حظيرة الغزلان وكان يختلف اليها فينتقي من هؤلاء الفتيات مَن أينعت ثمارها ونالت الحظوة في عينيه من ذوات الجمال الرائع والقد الفتَّان ..

وفي مدة هذا الملك تقلَّصت سلطة فرنسا عن الهند وحلَّت محلَّها انكلترا فقد كانت الجيوش الفرنسوية في البلاد الهندية تطلب المساعدة والمعتمدون الفرنسويون يلحُّون على حكومة باريس بارسال النجدات وليس مَن يجيب لان الملك كان غارقاً في ملاذِّه ووزراؤُهُ يجيبون المستنجدين بالعبارة المشهورة التي حفظها عنهم التاريخ وهي « اذا كان الحريق في البيت فلا يهتم اهله باشجار الحديقة ! »

وقد أصاب الجدري لويس الخامس عشر في اواخر حياته فأماته بعد ان شنَّعه تشنيعاً هائلاً وأنزل به آلاماً لا تُطاق ولكنه على رغم كل ذلك لم يُقلع عن فساده حتى انه وهو في آخر ساعة من حياته دعا احدى حظاياه وعانقها وطوَّقها بذراعه ومدَّ يده وقد علاها الجدري الى داخل صدرها وجعل يلاعب ثدييها الى ان فاضت روحه وهو على تلك الحالة

فهذا الملك الذي وصفناه لك ايها القارئ بانه كان عبداً لملاذه اسيراً لشهواته جاحداً بالدين والمعاد لم تكن حياته في اولها كاواسطها واواخرها . فقد نشأ لويس الخامس عشر على التقوى والدين والفضيلة واستلم الملك وهو في نحو العشرين من عمره لا يعرف من الدنيا غير غرفته وكنيسته وليس له من انيس سوى كتاب صلاته وكان في كل يوم

يسوق حاشيته واهل بلاطه لحضور العبادات والصلوات وقد أبطل الملاهي التي اعتادها بلاط فرنسا في مدة كلٍّ من جده الكبير ووصيه الدوق دورليان وكان لا ينظر الى امرأة ولا يطيق معاشرة النساء مما اقام حسان البلاط واقعدهن لانهنَّ اعتدنَ ملاهي الملوك ووقائع الغرام في القصر وحفلات الرقص والقصف التي كانت تقام في سبيل مرضاتهنَّ وقد تعرَّض بعضهنَّ للملك فصرَّحنَ له بان البلاط قد صار كدار المأتم او المعبد وان كبراء المملكة وعظماءها سيغادرونه اذا لبث الامر كذلك فكان لويس الخامس عشر يسمع كل ذلك غير مكترث لشيء وغير متنكِّب عن السيرة الطاهرة النقية التي أَلِفَها

وبقي هذا الملك الشاب على ما ذكرنا من محامد الخلال وحسن السيرة والفضيلة وهو كالزنبقة البيضاء لا يشوبها دنس الى ان وسوس الخنَّاس لاحدى سيدات البلاط الحِسان فنظمت الابيات التي نحن في صددها وكتبتها على ورقة ثم غافلت الملك ووضعت هذه الورقة في كتاب صلاته . فلما عثر عليها قرأها اولاً وثانياً فاثرت في دماغه ولم يلبث ان انقلبت افكاره واحواله واعماله ومع الزمان انتقل من ذلك الحمل الوديع الى ما وصفناه لك فيما تقدم وما الفضل في كل هذا الانقلاب الا لهذه الابيات . واذا علمتَ ان موءرخي الثورة الفرنسوية قد أجمعوا على انه لولا مدة حكم لويس الخامس عشر لما تنبَّهت الافكار للثورة الكبرى التي قلبت نظام العالم تدرك السبب الذي حملنا على اختيار عنوان هذه النبذة « الشعر والانقلاب السياسي »

والى القراء الابيات كما نظمها الاديب حليم افندي دموس طبقا

للاصل الفرنسوي :

حتى مَ وجهك عابسٌ وعلامَ تقطبُ حاجبيكْ
ألويسُ مُلكُكَ في الصبا والشعبُ رهنٌ في يديكْ
أتزورُك الغيدُ الحسا نُ ولا تُمتّعُ مقلتيك ؟
زمنُ الشباب هو الغرا مُ مرفرفاً عن جانبيك !
فأفتحْ فؤادك للهوى فبه تثقّفُ أصغريكْ
واعلمْ بانّ الحبّ سُلـ طانٌ يُصغّرُ ما لديكْ
هذا هو الملكُ المطا عُ وحكمُهُ يسمو عليك
دانت له الدنيا خضو عاً قبلما وَصلتْ اليك !

***

هذا ولما كان الشيء بالشيء يُذكر نأتي على واقعة حال جرت لاحد خلفاء بني اميّة تشبه حادثة لويس الخامس عشر وربما كان لها دخل في الانقلاب الذي حدث لدولة الامويين كما كان لسيرة الملك الفرنسوي المقدّم ذكره اعظم تأثير في القضاء على دولة البوربون . وهذه هي الحادثة كما رواها عبد الملك بن الماجشون قال :

لما مات عمر بن عبد العزيز وتولّى الخلافة يزيد قال : ما عمر بأحوج الى الله مني . فاقام اربعين يوماً يسير بسيرة عمر الطاهرة النقية وهو في كل يوم يصلّي في الناس . فقالت حبابة الجارية لخصيٍّ له — ويحك قم بي الى حيث يسمع كلامي وهو ذاهب الى المسجد ولك عشرة الاف درهم . فلما مرّ يزيد ليصلّي بالناس انشدت الجارية من مكمنها :

ألا لا تلمهُ اليوم ان يتبلدا فقد مُنع المحزونُ ان يتجلّدا

وما العيش الا ما تلذُّ وتشتهي
وان لام فيه ذو الشنان وفنَّدا
اذا كنتَ عِزهاةً (١) عن اللهو والصِبا
فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا

فلما سمعها يزيد قال للخصي – ويحك قل لصاحب الشرطة يصلي بالناس . ودخل للقائها

وقصة يزيد مع حبابة هذه مشهورة وتهتكه في حبها لم يسبقه احد الى مثله حتى انه يوم ماتت لم يأذن بدفنها ولم يدع احداً يمسُّها وأبقاها حتى انتنت وفسدت جثتها

يوسف العيسى



احدى طريدات الزمان

في وجهها سرُّ الجما ل به تبوحُ المقلتان
وعلى الخدود مدامعٌ قد خلتُها حب الجمان
خضب الحياء جبينها فوقفتُ معقود اللسان
ان الحياء مزيةُ الخلُق الشريف من الحسان

***

وبخصرها لينٌ كأنَّ الخصر عودُ الخيزرانْ

---

(١) اي عازفاً او زاهداً

وبلحظها السحرُ الحلا لُ ولفظها سحرُ البيان
جمعت الى هذي الحلى حليَ التأدُّب والصيان
والصون يندر في الحسانِ عدا العفيفات الجَنان

***

نظرت اليَّ فخلتُها إحدى فتيَّاتِ الجنانْ
فدنوت منها خافضاً نظري وقلتُ بلا توان
يا بنتُ لا تخفي شؤو نا لا محالة ذات شان
لحظاكِ قد فعلا بقلـ ـبي فعلَ حدِّ الهندوان
هل خنت عهداً لامرئٍ ام إنَّه للعهد خان
اني اخاف على عيو نكِ من دموعكِ ان تُهان
قالت وفي الجفنين من فرط التأثُّر دمعتان
أنا يا أُخيَّ كما ترى «احدى طريدات الزمان»
نصب الزمان لشرَّتي شركَ الشقاء والامتهان
زوجي نأى عني وخلَّفني على جمرِ الهوان
لاميركا حيث الدعا رة والخلاعة والقيان
نقض العهود ولم يصن عهدَ المحبة والصيان
انا لو علمتَ بحالتي لهتفتَ «يا ربي امان !»
انا امُّ طفلٍ قاصرٍ والى فراشي طفلتان
ارضعتهم لبن الفضيـ ـلةِ والفضيلة في اللبان
واليوم قد عدموا الغذا ءَ فضاع رشدي والبيان
ان شئتُ طرق الانتحا رِ فلا يطاوعني البنان

او رمتُ اطعاماً لهم كان الطعامَ الابيضان (١)
لـلأمّ عاطـفة الحنا نِ لانها معنى الحنان
تفدي البنين بروحها إن جار دهرٌ او زمان
تفـديهمِ وعـفافهـا من كفّ ذي دنسٍ حَصان (٢)

***

فاهت بذاك وأرسلت دمعاً يروّي الصحصحان
وتراجعت نحو الورا ء فصحتُ « يا ربي الامان ! »
اللومُ كل اللومِ في امثالِ ذا الزوج الجبان
كم مثله ممّن نأى عن عرسه فجنى وخان
خان البنين وأمّهم وهوى على بُسُط الزوان
يقضي لبانـة ساقطٍ من ساقطاتِ الامركان
عارٌ على من ينتمي للعُربِ ان يرخي العنان
العرب ما كانوا لنا مًا في زمانٍ أو مكان
كانوا كرامًا يوسعو نَ النذلَ ذلاً وامتهان
سالت بذكرهم البطا ئحُ وازدهت شمّ الرّعان
فاحفظ عهود العرب يا أبـ نَ العرب في هذا الكيان
عارٌ عليك تصون عر سُك منك عهدًا اذ تُخان

اسكندر الخوري البيتجالي

---

(١) اي الخبز والماء (٢) اي مصون او عفيف.


مَن جَدَّ وجد


(رواية واقعية)

عاش في احدى مدن سيبيريا رجل جبار يُدعى الكسي سيمينوف وكان ذا قوة هائلة تفوق حدَّ الادراك ولم يكن له من عمل سوى رعاية المواشي فكان يقضي نهاره متجوّلاً بمواشيه من مكان الى آخر في تلك القفار ويعود مساءً الى بيته فرِحاً مسروراً

وُلد لهذا الرجل سنة ١٧٩٤ ابن دعاه فيدور وكان جميل الصورة قوي البنية تلوح على وجهه منذ الصغر علائم الذكاء والنجابة . ولما أصبح في سن السابعة من عمره ادخله ابوه احدى المدارس الابتدائية . وما كاد يتلقى فيها مبادىء القراءة والكتابة حتى اخرجه منها واكرهه على رعاية المواشي زاعماً ان ما تلقنه في المدرسة لهو كافٍ لامثاله

وكان فيدور قد احبَّ المدرسة ومال الى العلم كل الميل فأسف لاضطراره الى تركها وكان يبتهل الى ابيه ان يأذن له بالعودة اليها فلم يرَ منه الا اعراضاً عن دموعه وابتهالاته واذا لجَّ في الطلب كان ابوه يزجره بغضب ويقول له متهدّداً — ألم تكتفِ بما حصلته في المدرسة ؟ وماذا تقصد بعودتك اليها ؟ أتنتظر ان تكون يوماً عالماً وفيلسوفاً ؟ . . دع عنك هذا الوهم والعناد ودونك رعاية المواشي فاستلمها فذلك خيرٌ لك وأبقى

هذه « النصائح » كان يتلقاها فيدور بمنتهى الحزن والاسف ولما وجد نفسه ضعيفاً لا قِبل له بمقاومة ابيه أطاعه قسراً وامتثل امره مكرَهاً . فأخذ يرعى المواشي وهو في اثناء ذلك ينتهز كل فرصة من اوقات راحته وليله للدرس والمطالعة في ما كان لديه من الكتب . وكانت قواه العقلية تزداد نموًّا ومعارفه اتساعاً . وكان في اكثر الاوقات يقلق والده الامّي باسئلته وتحرّيه فكان يرغب في ان يعلم لماذا خلق الله العالم وما هي هذه القدرة العظيمة التي خُصت به وكيف بسط الله السماء ولماذا تضيء الشمس في النهار فقط والقمر في الليل وما هي هذه الكواكب اللامعة السابحة في الفضاء . .

ومضى على فيدور مدة وهو يدأب ويجتهد في استيضاح هذه المسائل وقد أغرق في البحث عنها وكان كلما رأى احداً من رفقائه او معلميه في المدرسة او غيرهم ممن كان يتوسم فيهم المعرفة يُقبل عليه بمسائله ومباحثه حتى ذاع امره واصبح في نظر بعض رفقائه موضوع الهزء والسخرية

واتفق مرةً ان كسفت الشمس فقال له ابوه — وهل تلاحظ الان يافيدور كسوف الشمس ؟ فقال — وما هذا الكسوف ياوالدي وما هي اسبابه ؟ قال — انه مظهر من مظاهر غضب الله علينا فالامة التي تقضي حياتها في المآثم والشرور وتنسى خالقها العظيم يعاقبها الله احياناً بكسوف الشمس اي بتقليل نورها وحرارتها كما ترى الان

أصغى فيدور لكلمات ابيه مبهوتاً لانه لم يخطر في باله ان يسمع مثل هذا التفسير المبهم وقال في نفسه : وهل يمكن ان يكون مثل ذلك عقاباً واي ضرر لحقنا منه ؟

وزاده ذلك الكسوف رغبةً في الاقبال على العلم ومراقبة الظواهر الجوّية وكثيراً ما كان ذلك يحرمه لذة الكرى طول الليل

واتفق مرة ان وقعت في يده مجلة علمية وفيها بحث دقيق عن كسوف الشمس فطفق يقرأ ذلك بكل شوق ولهفة فعلم ان القمر هو سيار يدور حول الارض وبدورانه يقارن الشمس احياناً فيمرُّ تحتها فيصير حائلاً بينها وبين ابصارنا وعلى هذه الصورة يظهر الكسوف في الشمس كما حدث في ذلك النهار

ولم يكتفِ فيدور بما علمه عن الكسوف بل صارت نفسه تتوق الى معرفة احوال الفلك فأخذ يراقب حركة الاجرام السماوية ويتأمل ملياً في الكائنات وسائر الاشياء الطبيعية . ولما وجد من نفسه نزوعاً الى معرفة كنه هذه الاسرار وميلاً شديداً الى درسها ابتاع كتاباً في علم الفلك وقرأه من اوله الى آخره . بيدَ انه لم يفهم شيئاً من محتوياته لانه لا يعرف شيئاً من علم مساحة المثلثات ففتش عن كتاب يبحث في هذا العلم فوجده واكبَّ على حفظه . ولكن بدون فائدة وقد تحقق ان كل هذه الاتعاب لا تجديه نفعاً وان مَثله كمن يحاول ان يصعد الى سطح منزل عالٍ قفزةً واحدة . فأشار عليه بعض اصدقائه ان يدرس قبل كل شيء علم الهندسة والحساب ليصبح قادراً على فهم

تلك الكتب بلا مشقة وعناء · فابتاع فيدور بعض الكتب اللازمة لذلك وانصبَّ على درسها كل الانصباب · ثم ابتاع بعض الادوات والآلات اللازمة وصار يقضي النهار برعاية المواشي ويحيي الليل بالمطالعة والدرس

غير ان هذه الحالة لم تروُق اباه فقام يزجره عن اضاعة اوقاته بمثل هذه الاشغال وهو ينصحه تارة و يعنف به تارة اخرى ولبث على ذلك مدةً وفيدور يقاسي من شظف العيش ومرارة الحياة ما لا يوصف · وقد زعم الوالد اخيراً ان ابنه مصابٌ بمسٍّ من الجنون فعزم على تقويم افكاره واصلاح حاله بكل وسيلة وارتأى اخيراً ان يزوجه · ولكن انَّى له ذلك وقد أصبح فيدور مشهوراً باطواره وغرائبه عند سكان تلك المدينة من جميع الطبقات وقد نفرت عنه البنات وكانت كل واحدة منهنَّ تقول لوالده وذويه: أَ أقترن بمعتوه يحيي ليله سهراً وهو ينظر الى السماء بانبوبةٍ اتخذها فضيحةً لجنونه ؟ · ·

غير ان الوالد لم ييأس لانه كان صاحب مال فرأى لابنه اخيراً فتاة من اسرة فقيرة وقد تعرفت الفتاة بفيدور فأَحبتهُ ومالت اليه لدماثة اخلاقه ولين عريكته وغزارة علمه فاقترن بها فيدور وعاش واياها بكل هناء · ولم يكن هذا الزواج ليثنيه عن افكاره فظلَّ يتابع الدرس و يواصل البحث وقد زاد شغفه بذلك عن ذي قبل لانه لم يعد الان يرافق اباه الى البرية فصار يقضي ايامهُ بما كان منصرفاً اليه من حب المطالعة والتأمل في الكائنات والبحث عن احوال الموجودات

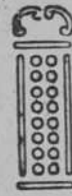
ولم يقف فيدور عند هذا الحد بل قام بعد زواجه بمدة يطالب اباه بنصيبه من المال وقد توعده باتلاف كل مقتنياته وسائر ما تملكه يداه ان هو لم يجب الى سوءله · فحار الوالد في الامر وقد نفد كل ما كان لديه من الوسائل في تقويم ابنه فلم ينجح فتركه اخيراً وشأنه يفعل ما يشاء

وراح فيدور وقد حُلَّ من قيود الظلم فدخل في حياة متسعة المجال وبات وقد نال حظهُ من الراحة والطمأنينة حرًّا مطلقاً لا رادع له ولا زاجر فعكف على اشغاله بكل جد ونشاط حتى اشتهر بمعارفه وعلومه وذاع صيته في انحاء البلاد الروسية وسُرَّ به وليُّ العهد حينئذٍ (القيصر اسكندر الثاني) فكان يدعوه الى مجلسه و يأنس بمحادثته ·

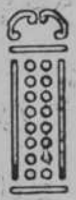
وقد انتدبتهُ اكثر الجمعيات العلمية للدخول في عضويتها

وألف في سنة ١٨٥٦ جدولاً في كسوف الشمس وخسوف القمر من سنة ١٨٤٠ الى سنة ٢٠٠١ كان له احسن وقع في الاندية العلمية . وألف غير ذلك من الكتب العلمية حاز بسببها اوسمة عديدة وألقاباً علمية كثيرة وتوفي اخيراً عن ست وستين سنة تاركاً للجميع احسن مثال في الاجتهاد والنشاط

فضيل بشاره نمر



الكهربائية في القدس



لا يخفى ان القدس ، — وهي هذه المدينة العظيمة بتاريخها العظيمة بآثارها العظيمة في نظر جميع اصحاب الاديان الالهية، والقائمة في افضل بقعة من الارض ، والتي يؤمها السياح والزوَّار من جميع انحاء العالم ومن سائر طبقات الشعوب، وبينهم الملوك والامراء والاحبار وكبار الاغنياء والعلماء والعظماء ، — هذه المدينة العظيمة الشأن باتت ادهاراً كثيرة مفتقرة الى الماء ، وهو اهمّ ما تحتاج اليه الحياة . لان ماء الشرب فيها ، وهو من ماء المطر الذي يخزنه الاهلون في الآبار ويحرصون عليه حرص البخيل على الدينار ، لعلمهم بان المطر اذا قلَّ في احدى السنين كما هو في السنة الحالية ، فان الماء ينضب في فصل الصيف او الخريف في اكثر الآبار ، فيضطر الناس الى مشترى الماء كل جرة منه بثلاثة غروش او اكثر ، وان صحَّ للغني ان يبتاع احتياجه منه فما قولك بالفقير في مثل هذه الازمة المائية ؟

والقدس مفتقرة ايضاً فضلاً عن الماء الى اصلاحات وكماليات شتى تحتاج اليها كل مدينة في مركزها وخطورة موقعها لتسهيل المواصلات ورفاهية الاهلين كتنويرها بالكهربائية ومدّ الترامواي في شوارعها وبين احيائها والى ضواحيها . فسدّاً لهذه الحاجة تقدم من مضي ثلاث سنوات شركة المانية لنيل الامتياز بما ذكر غير انهُ لم يحصل

اتفاق وقتئذٍ بينها وبين الحكومة . وفي السنة الماضية تألفت شركة وطنية من بعض المتموّلين في القدس وبيت لحم لهذا الغرض وخابرت حكومة الاستانة بالامر فلم يتيسر لها . وعلى اثر ذلك جاء الخواجا مفروماتي مندوباً عن اصحاب بنك بيريه في باريس للاتفاق مع الحكومة المحلية هنا على نيل هذا الامتياز

وبنك بيريه المذكور هو الذي أسلف حكومة الاستانة المبلغ الذي كان باقياً عليها من ثمن الدارعة « السلطان عثمان الاول » ونال منها امتيازاً خطيراً بانشاء خط حديدي من ازمير الى الدردنيل ، ونال منها بعد ذلك الامتياز الذي نحن في صدده وهو تنوير القدس بالكهربائية ومدّ الترامواي فيها وجرّ الماء اليها . وقد أُمضيت شروط الاتفاق بين الخواجا مفروماتي عن بنك بيريه صاحب الامتياز وبين الحكومة المحلية في ١٤و٢٧ كانون الثاني الماضي وهذه اهمّ شروطه :

اولاً — على اصحاب الامتياز ان يدرسوا المشروع في مدة ستة اشهر من تاريخ الاتفاق ويفرغوا من العمل في مدة سنتين واذا لم يباشروا العمل في المدة المضروبة فانهم يخسرون التأمين المدفوع لذلك وقدره ثلاثمئة الف فرنك . ــ الامتياز هو لمدة اربعين سنة والحكومة تحفظ لنفسها الحق بمشترى الخطوط والادوات بعد ١٥ سنة . ــ يُفرَز من صافي ارباح الترامواي والتنوير ٣٠ في المئة . منها ٢٠ في المئة لفائدة بلدية القدس والباقي لفائدة اللواء . اما ربح الماء فيفرَز منه ٣٠ في المئة لفائدة بلدية القدس فقط . ــ يُترَك ٤٠ في المئة من اسهم اصحاب الامتياز لمن شاء ان يشتريها من اهالي اللواء الوطنيين . وقد أُصدر بنك فلسطين التجاري العثماني في القدس اعلانات لمبيع هذه الاسهم وجعل اسعارها فئتين فئة بخمسمئة فرنك وفئة بمئتين وخمسين فرنكاً . ــ وقد اشترطت الحكومة مدّ اربعة خطوط حتمية وهي «١ً» خط يمتد من باب الخليل ــ المحطة العمومية للترامواي ــ الى الشيخ بدر على طريق عين كارم في الجهة الغربية من القدس «٢ً» خط يمتد من باب الخليل الى الجهة الشمالية الغربية من المدينة في طريق الميشورم وينتهي الى مدرسة دار الايتام السورية المعروفة ايضاً بمدرسة شنلر «٣ً» من باب الخليل الى الباب الجديد فباب العمود فباب الزاهرة الى الشيخ جراح في الجهة

الشمالية من المدينة « ٤ » خط يمتد من باب الخليل الى بيت لحم جنوبي القدس مارّاً بالنكيفورية فمستعمرة الالمان فمستعمرة الاروام ٠ ولاصحاب الامتياز الحق في مدّ اي خط شاءوا غير ما ذكر بشرط ان لا يزيد طول كل خط يرومون مدّه عن ٢٥ كيلومتراً ٠ — وقد جُعلت اجرة الركوب في الترامواي ٣٠ بارة في الدرجة الاولى و٢٠ بارة في الدرجة الثانية ما عدا خط القدس ـ بيت لحم فستكون الاجرة ٣ غروش في الدرجة الاولى وغرشين في الثانية

ثانياً — لاصحاب الامتياز الحق بجرّ الماء الى المدينة من العروب (المعروف قديماً بوادي بركه وهو بين القدس والخليل جنوبي بيت لحم على بُعد نحو ثلاث ساعات من القدس والعروب نبع غزير يسير ماؤه شرقاً الى بحر لوط) او من الفوار وعين فاره (والفوار هو نهر الكلت الذي يبتدىء على نحو ستة اميال شمالي القدس ويعرف قديماً بنهر عخور او نهر كريث ٠ واما عين فاره فواقعة على مسافة نحو ستة اميال الى الشمال الشرقي من القدس قرب قرية عَناتا وهي عناثوث القديمة ٠ وهذه العين في مكان اخفض من مستوى القدس بنحو خمسمئة متر) ومما عُلم من اقوال المهندسين الذين قدموا لدرس هذا المشروع وتخطيط العمل انهم سيقيمون خزّاناً للماء على بعض التلال القائمة عند الشيخ بدر فيرفعون الماء الى هذا الخزّان بالآلات ثم يوزعونه من هنا في المدينة ٠ وقد اشترطت الحكومة ان لا يزيد ثمن المتر المكعب من الماء عن اربعة غروش ٠ وان تعطى البلدية منه ٣٥٠ متراً مكعباً كل يوم مجاناً ، وتعطى حديقة البلدية ما يكفيها منه مجاناً ايضاً ٠ ووعد اصحاب الامتياز بعمل عشرين سبيلاً للماء في انحاء المدينة على نفقتهم

ثالثاً — اشترطت الحكومة فيما يتعلق بالنور ان يُحسم ٥٠ في المئة من ثمنه لدوائر الحكومة والبلدية فضلاً عن المصابيح الكبيرة التي سيقيمها نائلو الامتياز في الساحات والشوارع مجاناً ٠ وضمنوا قياماً بشروط هذا الاتفاق ان يشرعوا في العمل في شهر ايار القادم

فنهنىء الاهلين عموماً بادراك هذه الامنية التي طالما تاقت نفوسهم اليها ونرجو ان يكون للجميع من وراء ذلك كل خير ونفع ان شاء الله

صدى الصحف

من اقوال اسكندر المكدوني

لما رأى الاسكندر اتساع فتوح ابيه فيلبس قال — ان ابي قد كاد يستظهر على جميع العالم بحسامه ولم يغادر لحسامي شيئاً افتتحه به

وقال له موءدبه ارسطو وهو صبي — اذا وُليتَ مُلكاً فأين تضعني ؟ فاجابه — حيث تضعك طاعتك

ولما سار الى داريوس ملك الفرس انبأته طلائع جيشه بان داريوس في ثمانين الفاً من الجنود ، فقال ـ ان الجزَّار لا تهوله كثرة الغنم

ولما استولى على نساء داريوس بعث اليه داريوس وفداً يطلب اليه ان يقبل فديةً و يعقد الصلح فيزوجه ابنتهُ ويمهرها اعظم مملكته ، فاجاب الاسكندر ـ انني مستعد ان اسلمهُ نساءه باقل شرط اذا أتى يطلبهنَّ بنفسه

ووُصف له حسن بنات داريوس وهنَّ اسيرات عنده ، فقال ـ يقبح ان نغلب الرجال المقاتلة وتغلبنا نساؤُهم في الاسر

وجلس يوماً ولم تُرفع اليه حاجة ، فقال ـ لا اعدُّ هذا اليوم من ايام ملكي

وأمر بصلب لص فقال له معتذراً ـ ايها الملك انني فعلتُ ما فعلتُ وانا كاره . فقال الاسكندر ـ وتُصلب ايضاً وانت كاره

ولما كان على فراش الموت سأله احد خاصته ـ مَن تريد ان يتولى الملك بعدك ؟ فاجاب ـ يتولاه مَن يستحقهُ

وسئل ما سرور الدنيا ؟ فقال ـ الرضى بما رُزقت منها . وسئل ـ ما غمها ؟ فقال ـ الحرص عليها

وقيل له ـ ان فلاناً وفلاناً يسبانك فلو عاقبتهما لانزجرا . فقال ـ هما بعد العقوبة أعذر في سبي

ومن اقواله ايضاً ـ ما نلتُ شيئاً في ملكي احبّ اليّ من اني قدرتُ على المكافأة بالاساءة فلم أفعل

وليم على مباشرته الحرب بنفسه ، فقال ـ ليس من الانصاف ان يقاتل اصحابي عني ولا اقاتل عن نفسي

وقيل له ـ ما بالك تعظم مؤدبك اشدّ من تعظيمك لابيك ؟ فقال ـ لان ابي سبب حياتي الفانية ومؤدبي سبب حياتي الباقية «الآثار»



﴿ الاشربة الروحية وخمسون طبيباً ﴾

جاء في بعض الجرائد الاوروبية ان خمسين من اطباء برمنهام قرروا ما يأتي بشأن الاشربة الروحية قالوا : ١ ان الاشربة الروحية لا تروي الظمأ بل تزيده ٢ انها لا تفيد شيئاً في قضاء الاعمال ٣ انها توقف النمو العقلي والجسدي في الاولاد ٤ انها تضعف قوة الارادة فتفضي الى ارتكاب الموبقات وتجر الى الفقر والشقاء ٥ هي من المسكنات كالبنج والايثر ٦ انها تعد للامراض المعدية ٧ انها تعد بنوع خاص للتدرن والسل ٨ انها تضر في ذات الرية والحمى التيفودية اكثر مما تنفع ٩ انها تقرب النهاية المحزنة في الامراض التي تنتهي بالموت وتطيل مدة الشقاء في الامراض التي تنتهي بالصحة ١٠ انها تعد لضربة الشمس والرعن في ايام الحر ١١ انها تسرع بانفاق الحرارة في ايام البرد ١٢ انها تغير مادة القلب والاوعية الدموية ١٣ انها كثيراً ما تسبب التهاب الاعصاب والآلام المبرحة ١٤ انها تسرع بحويصلات الجسم الى الهدم ١٥ ان المقدار العظيم الذي يتناوله اصحاب الاعمال الجسدية من الاشربة الروحية هو سبب شقائهم وفقرهم وذهاب صحتهم ١٦ ان الامتناع عن تناول الاشربة الروحية مما يفضي الى صحة وسعادة الجنس البشري

«النشرة الاسبوعية» الدكتور حبيب همام



منثورات

حفظ الوصية

كانت علية ابنة المهدي تحب خادماً عند الرشيد اسمه طل . فحلف عليها الرشيد ان لا تكلم طلاً ولا تسميه باسمه . فضمنت له ذلك . فدخل عليها يوماً وهي تقرأ حتى بلغت الى قوله تعالى « فان لم يصبها وابل فطل » فأرادت ان تقول « طل » فقالت : والذي نهى عنه امير المؤمنين . فقبل راسها ووهبها طلاً مع هدية نفيسة

جواب مقنع

جرت منازعة شديدة بين هنري الثاني ملك انكلترا وفرنسيس الاول ملك فرنسا فعزم هنري على ان يرسل سفيراً الى خصمه ليبلغه كلاماً مهيناً واختار لذلك رئيس اساقفة لندن فاستدعاه وأفضي اليه بالامر . فاعتذر رئيس الاساقفة عن الذهاب محتجاً بالعواقب الرديئة التي سيصادفها عند ملك فرنسا من جراء ذلك . فقال له هنري — لا تخف من ذلك فاذا أوقع ملك فرنسا بك اقل ضرر فاني اقطع رؤوس جميع الفرنسويين المستوطنين في مملكتي . فاجابه رئيس الاساقفة قائلاً — ولكن ما من رأس من الرؤوس التي تقطعها يا سيدي موافق لجسدي كرأسي . فضحك الملك وعدل عن ارساله

المدخنون

قيل ان اول مَن زرع التبغ في اوروبا هو رجل اميركي اتى من اميركا لهذا القصد . واذ كان يوماً في لندن يتنزه في غابة ومعه خادمه الانكليزي اخذ في التدخين . فلما راى الخادمُ الدخانَ يخرج من فمه وانفهِ ظنه يحترق فاخذ جرة ماء وصبها على رأس سيده . فغضب ووبخه فاعتذر له قائلاً ظننتك تحترق ففعلتُ ما فعلت

صعوبة معرفة النفس

جاء والٍ الى سجن ولايته واخذ يجول بين السجناء للوقوف على احوالهم فسأل احدهم ما ذنبك ؟ فقال لا ذنب لي وانما سجنتُ ظلماً بتهمة القتل . ثم سأل غيره فأجاب كالاول . وهكذا حتى انتهى الى آخرهم فسأله وهل انتَ بريءٌ ايضاً كرفقائك ؟ فقال كلاً يا مولاي فانا قاتل وسارق وقاطع طريق . فأخذه الوالي في الحال بيده واخرجه من السجن

قائلاً — اذهب في سبيلك لانك لا تستحق ان تكون بين هؤلاء الصالحين لئلا تفسد اخلاقهم

ديموستين واهل اثينا

مَن ذكر ديموستين فقد ذكر رجل النشاط والثبات وربّ الخطابة ومثال الغيرة الوطنية . فبعد ان كان هذا الرجل خاملاً عياً تنبو عنه الآذان والابصار اصبح بجدّه فصيحاً بليغاً طائر الصيت تنصاع لكلامه القلوب وتلعب من قوله الحماسة في الرؤُوس . وقف حياته على خدمة اثينا وطنه وخصّ لسانه العجيب بالدفاع عنه . وقد ادرك ان فيلبس المكدوني (ابا الاسكندر ذي القرنين) يترقب فرصةً للهجوم على اثينا وضمها مع جميع البلاد اليونانية الى طاعته . فقام هذا الخطيب يردّ عن وطنه ويستنهض هم الرجال بخطبٍ لو وقعت على الصخر لانصدع . واهل اثينا عن مقصده معرضون . فكان ذات يوم يخطب في الجماهير وهو يتلهب غيرةً على الوطن والجميع عنه لاهون قد حوّلوا ابصارهم واهتمامهم عنه الى ألعاب كان يتلهى بها بعض صبيان الازقة . فأخذ ديموستين عن خطابه وأخذ يروي حكايةً فقال: خرجت سيريس مع سمكةٍ وطائر الى البرية ، فما زال الثلاثة معاً سائرين حتى وصلوا الى نهر اعترضهم في طريقهم ولا بدّ من عبوره ، فللحال حلق الطائر في الهواء فانتقل الى الضفة الثانية بسرعة البرق ، وغاصت السمكة في الماء فمرّت كالسهم . . . ثم توقف عن الكلام وأخذ يسرّح نظره في الحاضرين وكانوا قد اقبلوا عليه ومالوا بكليتهم الى حديثه . فلما سكت صاحوا جميعهم : وسيريس ما فعلت ؟ . فصاح ديموستين: يا اشباه رجال ولا رجال يهمكم حديث لا طائل تحته ، وها فيلبس على ابواب المدينة وليس فيكم من يغضب لوطنه او يدفع عن استقلاله . . وما زال يصبُّ عليهم اقوالاً تحرّك الجماد حتى ثارت فيهم النخوة فنهضوا نهضة رجل واحد و بادروا الى السلاح للدفاع عن البلاد

فلاح وطبيب

وفد فلاح على طبيب ماهر فقال له — ارجو منك يا سيدي ان تسرع الى منزلي فان زوجتي مريضة جداً وها انا اجعل لك خمس ليرات اجرةً سواء شفيتها او أَمتها فبادر الطبيب وعالج المريضة فلم ينجع فيها دواء بل ماتت في اليوم الثالث . فلما مضى على موتها ثمانية ايام طلب الطبيب اجرته فقال له الفلاح — وباي حق تأخذ الاجرة فهل انت امتّ امرأتي ؟ قال كلا . قال وهل

شفيتها ؟ قال كلا لسوء الحظ . قال اذاً فما الذي تطلبه ما دمتَ لم تشفها ولم تمتها كما كان الشرط بيننا ؟ فأمسك الطبيب عنه خجلاً وعاد بخفي حنين

جواب حكيم

كان وليم كول والياً لولاية فرجينيا الشمالية حينما كانت لانكلترا . ففي ذات يوم وقف في الطريق يحادث احد معارفه من كبار التجار فمرّ به رجل اسود من زنوج البلاد فحياه فاجاب الوالي تحيته بلطف . فقال له التاجر متعجباً — وهل يليق بك ان تحيي عبداً ؟ فقال الوالي — كيف لا ؟ وهل اطيق ان ارى عبداً اكثر ادباً مني ؟

حسن الاعتذار

امر ملك من الملوك ان يُصنع له طعام وأحضر قوماً من خاصته . فلما مدَّ السماط اقبل الخادم وعلى كفه صحن فيه طعام فلما قرب من الملك أدركته الهيبة فعثر فوقع من مرق الصحن شيء يسير على طرف ثوب الملك فأمر بضرب عنقه فلما رأى الخادم العزيمة على ذلك صبَّ جميع ما كان في الصحن على رأس الملك . فقال له — ويحك ما هذا ؟ فقال — ايها الملك انما صنعتُ هذا شحاً على عرضك وغيرةً عليك لئلا يقول الناس اذا سمعوا ذنبي الذي به تقتلني : قتله في ذنب خفيف لم يضره وأخطأ فيه العبدُ ولم يقصده . فتنسب الى الظلم والجور . فصنعتُ هذا الذنب العظيم لتعذَر في قتلي وترفع عنك الملامة . فأطرق الملك ملياً ثم رفع رأسه اليه وقال — يا قبيح الفعل وحسن الاعتذار قد عفونا عن قبيح فعلك وعظيم ذنبك لحسن اعتذارك فاذهب فأنت حرٌّ لوجه الله تعالى

القبعة

دخلت امرأة على زوجها وهو جالس الى شغله وقالت له — اني بحاجة الى شيء من المال ياعزيزي

قال — وماذا تريدين ان تشتري ؟

قالت — قبعة للربيع . قال — ولكننا لا نزال في منتصف الشتاء

قالت — ولكنني سأقضي اسبوعاً بالتفرج على انواع القبعات ، واسبوعاً في انتقاء واحدة منها تلائمني ، واسبوعاً في مشتراها ، واسبوعاً في استبدالها . .

جواب لطيف

قال رجل لاخت زوجته وكان عمرها سبع سنوات — انا احسن من اختك . فاجابته — لا بل اختي احسن منك . قال — انا أُباع عشر مرات قبل ان تُباع هي مرة واحدة . قالت — صحيح ما قلت لانه كلما اخذك واحد لا تعجبه فيبيعك من آخر واما اختي فمن اخذها فانها تعجبه فلا يريد ان يبيعها

اثار ادبية

العرفان

عادت هذه المجلة الراقية الى عالم الصحافة بعد احتجابها سنة كاملة ٠ وهي مجلة شهرية لحضرة منشئها الفاضل احمد افندي عارف الزين ، تبحث في العلم والادب والاخلاق والاجتماع وتعتني عناية خاصة بشؤون الشيعة ، وتصدر في صيدا ١٠ مرات في السنة ، في ٤٠ صفحة وقيمة اشتراكها ٥ فرنكات في البلاد العثمانية و ٦ في الخارج ٠ فنتمنى لها مزيد الرواج والانتشار

مجلة كمال

وردنا الجزء الاول من مجلة بهذا العنوان لحضرة صاحبها الفاضل كمال افندي عباس وقد تصفحناه فوجدناه حسن الاسلوب رائق المشرب ٠ والمجلة تصدر في بيروت ١٠ مرات في السنة ، في ٤٨ صفحة وقيمة اشتراكها مجيديان في البلاد العثمانية و ١٠ فرنكات في الخارج ٠ فنرجو لها ان تُلقى بما هي جديرة به من الرغبة والاقبال

فتاة لبنان

عنوان مجلة ادبية علمية روائية لمنشئتها الكاتبة الاديبة الآنسة سليمة ابي راشد . وقد وردنا الجزءان الاولان منها مشتملين على كثير من المباحث المفيدة والمقالات الرائقة مما يشهد لحضرة منشئتها الفاضلة بعلوّ الهمة وسلامة الذوق ٠ والمجلة تصدر في بيروت مرةً في الشهر في ٣٢ صفحة ، وقيمة اشتراكها ريال مجيدي ونصف في بيروت ولبنان وريالان في البلاد العثمانية و ١٠ فرنكات في الخارج ٠ فنؤمل لها الثبات والنفع

تهانيء

وردتنا عدة تهانيء وخطب شعرية ونثرية في اغراض شتى ٠ منها قصيدة مطبوعة بعنوان حنين الفؤاد نظمها حضرة الاستاذ الاديب عبدالله افندي جريس غريب في تهنئة حضرة الفاضل الخواجا سباسكي ناظر المدارس الروسية في شمالي سوريا بعودته

من روسيا . قال في مطلعها :

قلَّ اصطباري ليوم فيه قد بانا   فالشيب في لمة المفتون قد بانا

وقال في ختامها مؤرخاً

سارت اليكم ضحىً مني مؤرخةً   بشراكم قد اتانا الخلُّ مولانا

ومنها خطاب انيق القته حضرة الاديبة اللبيبة الآنسة انيسة كريمة الفاضل ابرهيم افندي عبد النور في الرابع عشر من الشهر الماضي يوم الاحتفال باستقبال سيادة الارشمندريت ساروفيم الشميل الرئيس العام للرهبنة الحناوية . نقتطف منه الابيات التالية :

لما توارد البشائر للحمى   كان السرور بما أُصبتَ جزيلا
ويحق للشعراء ان يتنافسوا   في نظم زهر كمالكم اكليلا
وطني العزيز لقد بلغتَ مكانةً   جرَّت على هام العلاء ذيولا
لا زلتَ يا مولاي في ثوب الصفا   ما صاح طيرٌ بكرةً وأُصيلا

ومنها ابيات رقيقة في تهنئة حضرة الفاضل الشماس نيفون سابا بارتقائه في مطلع هذا العام الى رتبة الارشيدياكونية في اللاذقية لحضرة الاديبين البارعين نخله افندي يبطار وصديق افندي شيبوب

قال الاول :

أَنعم بمنهجتك القويم فطالما   كان الثناءُ بطيبه مزدانا
يهنئك انك في الكنيسة بلبلٌ   أَحيا القلوب وشنف الآذانا

وقال الثاني :

بين عامٍ مضى وعام مبادر   جاءَت البشرى كي تسرَّ الخواطر
حبذا الفأل في رقيك خير   نرتجيه بالعام زاهٍ وزاهر

ومنها غير ذلك من قصائد وخطب يمنعنا ضيق المقام من ذكرها فنرجو من اصحابها عذراً

تنبيه : في الموشح النثري الذي ختمنا به مقالة « ماذا نتمنى لاولادنا » صفحة ٥١ من الجزء الماضي لم نذكر اسم ناظمه (تيودور بوتريل) فاقتضى التنبيه

اهداء المجلة

من حضرات الافاضل :

(١٨ و١٩ و٢٠ و٢١) الاستاذ سليمان افندي عبود (القدس دار الايتام السورية) الى اخوته المحترمين المبشر متى عبود (علما الشعب) — والدكتور امين افندي عبود (خيام مرجعيون) — والقس اسعد عبود (حاصبيا) — والقس سعيد عبود (بيت لحم)

(٢٢) الخوري جرجي توما (عكا) الى كريمته الآنسة الاديبة المعلمة نبيهه الخوري (بيت لحم)

(٢٣) حليم افندي ابرهيم دموس (زحله) الى شقيقيه الخواجات فارس وميخائيل دموس (البرازيل)

(٢٤) البير افندي حمصي (حلب) الى جورج افندي كندرجي (باريس)

(٢٥) الخواجا شكري جرجس سلامه (سانتياغو دي شيلي) الى اخيه الاديب يوسف جرجس سلامه (مدرسة الصلاحية في القدس)

(٢٦) الخواجا الياس الاعمى (ميليبيا — شيلي) الى اخيه الخواجا ابرهيم عيسى يوسف الاعمى (بيت لحم)

(٢٧) الخواجا سليم العجلوني (سانتياغو دي شيلي) الى ابناء عمه الخواجات صليبا العجلوني واخوانه (ديتريت مشكن -- الولايات المتحدة)

(٢٨) الخواجا قسطندي جرجس (سانتياغو دي شيلي) الى ابن عمه الخواجا جرجس سليمان عوده (جفنا)

(٢٩) الخواجا فرنسيس السقعان (سانتياغو دي شيلي) الى والده الخواجا جادالله السقعان (بيت لحم)

(٣٠) الخواجا سليمان الياس تسعواق (سانتياغو دي شيلي) الى اخيه الخواجا جميل الياس تسعواق (جفنا)

(٣١) سليم افندي جرجس انطانيوس (كوتامندرا — اوستراليا) الى صديقه فيليب افندي ناصيف (كوسبا — لبنان)

(٣٢) حبيب افندي اسعد خرياطي (غلاسكو — ولاية كنكتكت — الولايات المتحدة) الى يوسف افندي خليل الحداد (وليمنتيك — ولاية كنكتكت)

(٣٣) الخواجا خليل الخوري ابرهيم (غوياندبرا — ولاية غوياز — البرازيل) الى الخواجا حنا ديب (الرامه)

(٣٤) الخواجا عوده صالح (القدس) الى الخواجا بشاره مهر (كونسبسيون-شيلي)

فنشكر لهؤلاء الافاضل الكرام اريحيتهم الوطنية وحسن ظنهم بالمجلة ورغبتهم في مناصرتها

missing p. 16
[part of serial translation-
conintuing from previous issues]

وقد بانت عليهما علامات السرور لانهما قد عرفا بحال دخولهما الى كوكوي من بعض اصحابهما المقيمين فيها ان الغلامَين مخائيل وبولس كارنين يقيمان حقيقةً في كوكوي وانهما يسكنان عند سيدة تُدعى يوليا شارلوطا فون فوغل كأنهما ولداها

عرف باسيل وفيدور ذلك فسُرَّا لنجاح مهمتهما ولم يبقَ الا ان يستدلاً على منزل يوليا ويطلعا على احوالها واحوال الغلامين ببعض التفصيل . فقال فيدور — سنعلم ذلك غداً ان شاء الله ونعود لساعتنا فنقبض جزاء اجتهادنا . فضحك باسيل وقال — هو ما تقول ولكن يلزمنا ان نقضي غداً النهار بطوله هنا فنستطلع احوال الغلامين ومربيتهما ثم نعود بالخبر اليقين الى موسكو . قال — حسن والان فاني اريد ان أنام قليلاً لاني اشعر بنعاس شديد استولى عليَّ فلا يمكنني السهر معك الى الصباح . قال — تنام ? ولكن اين تنام يا هذا ومَن يفتح لك ابواب منزله في مثل هذا الهزيع من الليل وانت استرلتسي والجميع هنا ينظرون الى الاسترلتس بكل حذر وارتياب . قال — الطقس دافىء والارض جافة فأرقد في بعض منعطفات الطريق او تحت شجرة في احدى الحدائق ، ونحن الان بالقرب من منزل قسيس البلدة وهذه حديقته فهيا بنا ندخلها ولا ينبثق فجر الغد الا ونخرج منها دون ان يشعر بنا احد . قال — أصبتَ فهيا بنا

ولم يكن باب الحديقة مقفلاً فولج الاثنان . ولم يكادا يطآن داخل الحديقة حتى وقف باسيل وقال لرفيقه همساً — مكانك ايها الرفيق ! فاني أرى نوافذ المنزل لا تزال مفتوحة والانوار تتألَّق فيه وقد حانت مني

التفاتة الى احدى الغرف فرأيتُ فيها شبحين أحدهما واقف لا يتحرّك والآخر يسير في الغرفة ذهاباً واياباً ، الا ترى ان نعود ادراجنا ونقضي ليلتنا في مكان آخر ؟

فقال فيدور - لا يُتاح لنا ان نجد في غير هذه الحديقة من الاشجار الكثيفة ما يخفينا عن الابصار ، فهيا بنا ولا تخشَ شرًّا ، فنحن من هنا نستطيع ان نرى اهل المنزل واما هم فليس لهم ان يرونا لاننا في ظلمة حالكة

فأذعن باسيل لرفيقه وسار واياه فجلسا في ظلّ بعض الاشجار ولم يأتِ على ذلك الا ثوانٍ قليلة حتى سمعا شيئاً من الحديث الذي كان ينبعث من المنزل

***

تلك الليلة لم يكن القسيس في منزله . وقد جاء المنزل ضيف عزيز استقبلتهُ هيلانة فاديمرخت ربيبة القسيس بمنتهى الحفاوة والترحاب

كان هذا الضيف بطرس الاكبر . وهو في ذلك الحين في سن الثامنة عشرة من عمره . وكان مهيب الطلعة واسع الجبهة حادّ البصر ابيض اللون فاحم الشعر عريض الانف ضخم الشفتين متين البنية متوقّد الذهن الى درجة تفوق التصوُّر

وكانت هيلانة فاديمرخت التي استقبلت هذا الضيف في تلك الليلة في شرخ شبابها وهي رائعة الحسن رشيقة الحركة وعلى اعظم جانب من الذكاء والفطنة . وقد آواها القسيس في منزله منذ طفوليتها لانها فقدت والديها صغيرةً فضمّها الى نفسه وعُني بامر تهذيبها وتثقيفها فأصبحت بمقام

ولده . ولما رأى القيصرَ الصغيرَ يتردَّد الى منزله وشعر بان الدافع الي تردّده ميله الى هيلانة أضمر في نفسه امراً وصار يكثر من التغيُّب عن المنزل تذرُّعاً الي إحكام عرى الالفة والمودة بين بطرس وهيلانة

كان القسيس رجلاً حكيماً خبيراً بطبائع البشر عالماً بما للمرأة من القوة والنفوذ في هذا الكون فأحبَّ ان يجعل ربيبته موضوع هيام بطرس ليكون لقومه في بلاد الروس بتلك الذريعة مكانة رفيعة تنيلهم ما يبتغون

وكأنَّ هيلانة قد أدركت ما يختلج في صدر المحسن اليها من هذه الامنيَّة فكانت لا تظهر امام بطرس الا بمظهر السرور والودّ ولم تكن في بادئ الامر تحذر جانبه فكانت تخلو به طويلاً وتقضي الوقت واياه في غاية السرور والبساطة دون ان يكون لاسم الملك تأثير في حديثها وتصرُّفها . وكان بطرس يرتاح الى حديثها ومجالستها وعلى الخصوص الى تلك البساطة وعدم التأنق اللذين كانت تظهرهما في معاشرتها له . فالظاهر ان هذا الملك الصغير كان يكره فخفخة المُلك منذ حداثته وكان يرى في الذين يقوّسون ظهورهم له ويزحفون امامه على الركب كل تدليس ورئاء ويُعرض عنهم حانقاً غاضباً الى حيث يمكنه ان يرى البساطة والحق والصراحة في الاقوال والاعمال فلا يجدها في عاصمة مُلكه وبين اهل بلاطه فيجيء الى بلدة كوكوي فلا يرى امامه الا وجوهاً باشّة وبساطة فتّانة فيتنفس الصعداء ويتمنى لو يمكنه ان يقيم هنا دهره

اما اهل كوكوي فكانوا يحبُّون بطرس الى درجة العبادة وكان له

في قلوبهم احسن منزلة واعتبار وكان كلما قدم الى بلدتهم يستقبلونه كالصديق الحميم فيرى هو في كل ذلك ما كانت نفسه تطمح اليه . وكان في كثير من الاوقات يتردّد الى منزل القسيس فيدرس عليه بعض العلوم الى ان استحكمت الالفة بينه وبين هيلانة وأُعجب بجمالها وعزة نفسها وطيب قلبها . وكان وهو جالس اليها يتطايبان بالحديث ينسى انه ملك « قادر ان يفعل ما يشاء » فكان من هذه الجهة في أعلى درجة من درجات التمدن . وكان يشعر بان الساعات التي يقضيها بازاء هذه المخلوقة الجميلة هي احسن ساعات حياته

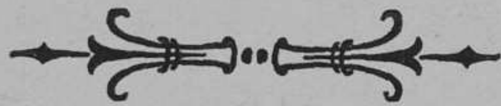
وكان بطرس في ذلك الزمن متزوّجاً فقد اقترن في السابع والعشرين من شهر كانون الثاني سنة ١٦٨٩ بفتاة من اشرف الاسر الروسية يُقال لها افدوكيا لوبوخين غير ان اقترانه بها كان بتدبير والدته وايعازها وليس عن حب متبادل . ولم يمضِ على ذلك بضعة اشهر حتى شعر بطرس بنفور من زوجته وكراهة شديدة لها لانها كانت كغيرها من بنات ذلك العصر في روسيا مستسلمة للاوهام والاباطيل جاهلة غبية ولعلّ ذلك كان الدافع الاعظم لبطرس الى الإعراض عن زوجته وكثرة تردّده الى بلدة كوكوي للاجتماع بحسان فتياتها ومعاشرتهنّ

وقد احسّت هيلانة فاديمرخت بعظم ارتياح القيصر اليها فأدركت ان الامر لا بدّ ان ينتهي الى حدٍ بينهما وقد اوجست خوفاً من البلوغ الى هذا الحدّ عندما ينتفض في بطرس عرق الحب والهيام

رأت هيلانة ان الخطر يدنو منها شيئاً فشيئاً . والذي ملأها خوفاً وحذراً ما كانت تسمعه من القسيس من وقت الى اخر من التلميح

والاشارة . فكان يقول لها مثلاً ان الشعب الالماني ينتظر منها أحسن خدمة .. وانها قادرة على اداء هذه الخدمة .. وقادرة ان تكون كيهوديت العبرانية التي بذلت نفسها ضحية عن شعبها باظهارها الحب لأليفانا رئيس جيش الاشوريين .. وانها — اي هيلانة — اذا امتلكت قلب بطرس ونالت حظوة في عينيه تصبح مغبوطة ومباركة من المئات والالوف من بني قومها ..

كانت هيلانة تسمع من القسيس مثل هذا الكلام فتستولي القشعريرة على كل اعضائها ليس لانها لا تريد ان تخدم امتها بغرامها بل لان قلبها لم يكن خالياً . وكان القسيس لا يعرف شيئاً من ذلك . ولما رأت انه اخذ يكثر من تغيبه عن المنزل وبطرس يوالي زياراته خشيت ان يتهوّر في حبها فلا تعود قادرة ان تردّ جماح هواه وتدرأ عن نفسها سوء المصير . فعقدت نيتها على امر ولم تغيّر شيئاً من ابتساماتها لبطرس بل كانت احياناً تبالغ في اظهار ميلها وارتياحها اليه . وقد لحظ القسيس منها ذلك فازداد إعجاباً بها ويقيناً بادراك المنى



الفصل الخامس

﴿ الضيف العزيز ﴾

— اهلاً بالملك ! اهلاً وسهلاً بضيفنا العزيز ! ما هذا ؟ اننا لم نرك منذ ايام فهل نسيتنا ايها الصديق ؟ — بهذا الكلام استقبلت هيلانة بطرس الاكبر في تلك الليلة

وكان القيصر قد صافحها ضاغطاً على يدها وقال — وهمت ِ ايتها الآنسة اللطيفة فانا لا أنسى اصدقائي

قالت — شكراً لك ايها الملك لانك بددت مخاوفي . تقول انك لا تنسى اصدقاءك فهل تنسى اعداءك اذاً ؟

فقطب بطرس حاجبيه وقال بصوت اجش وهو لا يزال قابضاً على يد هيلانة — ان من اعدائي مَن لا انساهم الى آخر نسمة من حياتي

فجذبت هيلانة يدها منه وقالت — ما أقسى قلبك ايها الملك ! ألا تعلم ان الله يأمرنا بان نحب اعداءنا ؟

قال — الله يأمرنا بذلك لانه اله يستطيع ما لا يستطيعه البشر . وقد قرأت في بعض كتب القسيس هنا ان تنازع البقاء يجعل البشر في بعض الاحوال ذئاباً خاطفة . . . آه يا هيلانة لو امكنكِ ان تطلعي على ما في نفسي من الآلام المبرحة لذعرتِ ورثيتِ لحالي

فتراجعت الفتاة عنه قليلاً وقالت — عجباً ايها الملك ! أتكون قيصر البلاد وسيدها ومستقبلك محفوف بلألاء المجد والسعد ويكون للآلام سبيل الى نفسك ؟

فهز بطرس رأسه وقال — وهل تجهلين انتِ ما انا فيه من حرج الموقف والخطر ؟ أتجهلين ما تضمره لي اختي صوفيا من العداء وما تدبره من المكايد لاغتيالي ؟ ألا تعلمين انها قد بثت الارصاد وارسلت الجواسيس يراقبون حركاتي وسكناتي ويسمعون كل كلمة أتفوه بها ليكون لها من ذلك ذريعة للظفر بي ؟

ثم ضرب مائدة كانت امامه بيده وقال وقد اكفهر وجهه — وانها

تفعل كل ذلك ليتسنى لها البقاء على عرش السلطنة بلا منازع ويبقى حبيبها فاسيلي غوليتسن بازائها !

فقالت هيلانة — حسبك الان من مثل هذا الكلام يا سيدي فانه يزيد تألمك وانقباضك وانت تعلم اني لا أستطيع ان أراك الا فرحاً مسروراً .. فعد الان الى درسك ودع التقادير تجري في اعنتها فلن تصل شقيقتك الى نيل مبتغاها ما دام اصحابك هنا قد اقسموا ان يفدوك بارواحهم

فسُرّي قليلاً عن بطرس وقال — أصبتِ فقد أهملتُ دروسي هذه الايام كثيراً ولا اعلم ماذا يقول عني القسيس .. واين هو الان ؟

قالت — انه قد خرج هذا المساء لبعض شؤونه ولم يعد وهو والحق يقال مُعجب بك وباجتهادك وثقوب فطنتك ويرجو للبلاد على يدك كل رقيّ في سبيل العمران وانا اشاركه في هذا الرأي

فابتسم بطرس وقال — وانا راغبٌ في الدرس والاجتهاد حباً لنيل رضاكِ اولاً

قالت — اذاً سترى مني هذه الليلة ما يسرُّك

قال — وما ذاك ؟

قالت — سأ فاجئك بامر يدهشك ويطرب قلبك ويسرّي عنك كل غمّ

ثم خرجت من الغرفة ولبث بطرس وحده فيها يتأمل في حالته وقد غاص في الافكار وقال يخاطب نفسه : ما اشقى حياتي واشد غموض مستقبلي .. ان اختي تناصبني العداء وزوجتي غبية جاهلة لا تدري من

امور الحياة شيئاً الا الاشتغال بالاوهام والخزعبلات .. ورفاقي في الجندية لا يزالون صغاراً لا اثق بكفايتهم في مقاومة اعدائي .. وجيش الاسترلتس كله متحيّز لشقيقتي ومعه جمهور من نبلاء البلاد.. وانا وحدي اكافح هذه القوات وأكاد اكون مهملاً لولا هولاء الاجانب والعامة من الشعب ... ولكن مهلاً ايتها الشقيقة المترّجلة ! فسأذلل كل صعوبة من امامي وأدوس بقدميَّ كل مَن يتصدّى للاعتراض في سبيل ارادتي وأُظهر للعالم أجمع مَن انا ! ..

ولما قال ذلك تقدم الى نافذة في الغرفة تطلّ على الحديقة وكان الظلام حالكاً فلم يرَ شيئاً . وعاد بعد ذلك فأزاح ستارة عن مكان في الغرفة فظهر فيه دكّة قام عليها هيكل بشري بطول قامة الانسان فحمله بطرس بين ذراعيه واوقفه الى المائدة ثم اخذ كتاباً وجلس امام ذلك الهيكل وشرع يدرس اجزاء الجسم البشري وتركيب اعضائه وهو يلمس تلك الاعضاء بيديه ويسمّي اجزاءها فكان يمدّ الذراع مثلاً ويقول هذه عظام الكوع وهذا المعصم وهنا اتصال الذراع بالكتف ثم يعمد الى الرجل ويقول هذه عظام الساق وهذه الركبة وهذه القدم ...

والظاهر ان هذا الموضوع كان يلذّ لبطرس كثيراً فأخذ غليوناً طويلاً كان في جيبه فملأه تبغاً وأشعله وواصل الدرس والمراجعة وكانت غيوم الدخان ترتفع فوق رأسه فتملأ الغرفة

***

في هذا الوقت ، بينما كان بطرس آخذاً في درسه على الصورة المار ذكرها ، دخل باسيل ورفيقه فيدور حديقة المنزل وأبصرا شبحين في

الغرفة ، ولم يكن الشبحان سوى بطرس والهيكل البشري الذي امامه ، وقد دفع حبُّ الاطلاع هذين الاسترلتسيّين الى الوقوف في مكان من الحديقة يستطيعان منه ان يشاهدا ما يجري داخل الغرفة . واشتدّت الرغبة في باسيل فتسلق شجرة أبصر منها جيداً بطرس وما كان يجريه من الحركات في درس مجموع تلك العظام البشرية. فقفَّ شعر رأسه وتحلّب العرق البارد من جبينه وقفز عن الشجرة الى الارض وهو يصيح صياحاً مخيفاً ويقول : الفرار الفرار ايها الرفيق .. فقد رأيتُ الدجَّال في حديث مع واحد من طائفة الجنّ ...

وسمع بطرس صياح الاسترلتسي فدنا من النافذة ليتحقق الامر فلم يرَ شيئاً ولكنه سمع وقع اقدام تركض في الحديقة وقد خرجت منها الى الشارع. فظن لاول وهلة ان بعض رجال اخته جاءوا الى كوكوي يقتفون آثاره ويتنسمون اخباره . بيدَ انه استغرب ما بدا منهم من الفزع الشديد بدون داعٍ



الفصل السادس

﴿ حنة مونس ﴾

وبينا بطرس في حيرة من هذا الامر فُتح باب الغرفة ودخلت هيلانة فاديمرخت متهللة الوجه وفي اثرها فتاة لم تقع عين بطرس عليها حتى خفق قلبه شديداً

فقالت هيلانة ضاحكة—وعدتك ان أفاجئك ايها الملك بما يدهشك ويسرُّك وها قد اتيتك الان ومعي صديقتي حنة مونس

فنظر بطرس واذا امامه فتاة في زهرة الصباء ورونق الشباب رشيقة القد بديعة المحيا فتَّانة العينين وقد صبغ الاحمرار وجنتيها فأطرقت قليلاً الى الارض

كان بطرس يعرف والد هذه الفتاة يوحنا مونس وهو من مشاهير رجال كوكوي واكبر اغنيائها وقد سُرَّ الان لتعرّفه بابنته فتقدم اليها ومدَّ يده فصافحها وهو يتأمل في محاسنها

ووقفت هي امامه مبهوتة مرتبكة لا تدري ما تقول . فقالت لها هيلانة — لا تضطربي يا صديقتي العزيزة فليس امامك الا الملك بطرس وهو كما ترينه في منتهى البساطة وليس كغيره من الملوك الذين جعلتهم رعيتهم في مصافّ الالهة وقامت تتقرَّب اليهم بكل انواع العبادة والسجود . والملك بطرس كما سمعتِ صديق لنا جميعاً في هذه البلدة وهو يعرف اكثر رجالها ويتردَّد الينا من حين الى آخر فلا نستقبله الا بعواطف الصداقة والولاء والاخلاص ولا نرى منه الا كل لطف في المؤانسة ورقة في الشمائل . فتعرَّفي به بينما اكون قد أعددتُ شيئاً من الشراب ولا ألبث ان اعود اليكما فنقضي الوقت معًا

قالت ذلك وخرجت ولبث بطرس وحنة مونس في الغرفة وحدهما وقد جلسا الى المائدة واخذا في حديث متقطع عن كوكوي وموسكو وممالك اوروبا الغربية

وكان بطرس يحدّث هذه الفتاة ويسمع حديثها بمنتهى الاصغاء

واللذة وقد ادهشه جمالها الباهر وسحره لطف حديثها ورقيق اسلوبها ووقعت من قلبه موقعاً محبوباً . وكأنها شعرت هي بمثل شعوره فكان قلبها يخفق وحمرة الخجل تعلو وجهها فتزيده جمالاً وإشراقاً

وانهما لكذلك واذا بهيلانة قد دخلت الغرفة مسرعةً وعليها علائم القلق والارتباك وقالت باضطراب – ان بالباب فتىً يطلب مواجهتك ايها الملك لامرٍ لا يقبل التأجيل

فقطب بطرس حاجبيه وقال – ومَن هو هذا الفتى وما مراده مني في مثل هذا الوقت ؟

قالت – انه من ابناء النبلاء وقد قال لي ان لديه مسألة ذات شأن لا بدَّ من ابلاغك اياها في الحال قبل فوات الفرصة

فتنهد بطرس وكأنه استاء لاضطراره الى قطع حديثه مع حنة وقال – انهم اذاً قد اقتفوا اثري هذه الليلة ايضا وأبوا الا ان ينغصوا عليَّ سروري أفلم تسمعي يا هيلانة ماذا حدث منذ ساعة في الحديقة ؟

قالت – وماذا حدث ؟

قال – سمعتُ وقع اقدام تركض في الحديقة وقائلاً يذكر اسمي

قالت – وانا قد سمعتُ صياحًا ولكنني لم افهم شيئاً لاني كنت وصديقتي حنة في الغرف الداخلية

وقالت حنة – وانا سمعتُ ذلك ايضاً ولكنني لم اعره اهتماماً لانه من الحوادث العادية عندنا فالظاهر ان بعض رجال الاسترلتس اجتازوا بلدتنا وهم سكارى

وما كادت تتم كلامها حتى دخل الغرفة فتًى جميل الصورة لطيف

الذات وامائر الاضطراب والرعب ظاهرة في وجههِ . وما كاد يرى القيصر وهو ينظر اليه بعينين تلتهبان غيظاً حتى ذُعر وزاد اضطرابه وقال بصوت يتلجلج – اعذرني يا مولاي لدخولي عليك في مثل هذا الوقت وبمثل هذه المفاجأة فقد حدث من الامور الخطيرة ما حملني على الاسراع اليك بهذه الصورة

فقال بطرس وهو لا يزال غاضباً حانقاً وقد وضع يده على قبضة حسامه – قل لي اولاً مَن انت !

فجثا الفتى امامه على احدى ركبتيه وحنى رأسه بخضوع وقال – انا عبدك بولس كارنين يا مولاي

قال – قد سمعتُ بابيك واظنهُ من المتحيّزين لشقيقتي فما الذي تريد ان تنهيه اليّ ؟

قال – سرٌّ هائل اروم ان اكشفهُ لجلالتك ونحن في خلوة

فاشار الملك الى الفتاتين فتحولتا تريدان الخروج واسرع هو ففتح لهما الباب ثم عاد الى مكانه وقال لبولس – انهض الان فاني لا احب ان ارى احداً من رعيتي جاثياً لي وأنبئني بما في ضميرك



الفصل السابع

﴿ الفتنة ﴾

فنهض الفتى وقال – ان الاسترلتس قد عرفوا بمجيء جلالتك هذه الليلة الى كوكوي فتآمروا على قتالك وجاء جمهور منهم فكمنوا لك في

الطريق ليغتالوك وانت عائد من هنا . فاناشدك الله يا سيدي ان تبقى هنا الى الصباح

فارتعد القيصر وقدحت عيناه شرارًا وقال – او مثلي يخاف هؤلاء الانذال ؟ ألا تعلم ياهذا ان يد العناية تحرسني وتدرأ عني كل ما يضمره الاشرار لي من الاذى ؟

قال – ولكنهم جمع غفير يامولاي وانت وحدك

فاطرق بطرس قليلاً وقد امتقع وجهه وقال – ولكن كيف علمت انت كل ذلك ؟

فارتبك الفتى وقال – علمتُ ذلك من اخٍ لي اكبر مني سناً يقال له ميخائيل . . وهو الذي اثار الاسترلتس عليك هذه الليلة

فذهل بطرس وقال – يظهر ان اخاك من المخلصين لاختي صوفيا

قال – نعم غير ان لذلك سبباً آخر تجهله جلالتك كل الجهل . فاعلم اذاً يا سيدي اني واخي نتردَّد كثيرًا الى هذه البلدة لان فيها سيدة المانية تدعى يوليا شارلوطا فون فوغل هي لنا بمقام الوالدة لانها كانت مربيةً لنا منذ الصغر فتعلقنا بها وصرنا نقضي في منزلها هنا اكثر اوقاتنا . فبصر اخي عندها ذات يوم بفتاة المانية وأحبها وأحبتهُ هي ايضاً ولكنه علم بان جلالتك قد هويتَ هذه الفتاة فطار رشده وفعل ما فعل

شعر بطرس عندما سمع هذا الكلام ان الارض تميد تحت قدميه وخاف ان تكون حنة مونس هي حبيبة ميخائيل كارنين ولكنه تمالك وقال – ومَن هي هذه الفتاة التي احبَّها اخوك ؟

فقال الفتى بصوت خافت – هي هيلانة فاديمرخت ربيبة صاحب

هذا المنزل

فتنفس بطرس طويلاً وسُرّي عنه بعض كربه وقال – ان اخاك بإثارته للاسترلتس قد اصبح في نظري خائناً ومجرماً وسيناله العقاب الشديد على ذلك واما انت فالزمني مذ الان وكن من اخصّاء رجالي واصدقائي

وما كاد القيصر يُتمّ كلامه حتى ارتفع من الشارع ضجّةٌ وسُمعت اصوات وقع اقدام كثيرة تقترب الى المنزل شيئاً فشيئاً فقال بولس مذعوراً – ألا تسمع ياسيدي شيئاً ؟

قال – بلى واظن ان بعض السكارى يتشاتمون ويتضاربون

قال – كلا بل هم الاسترلتس قد دخلوا البلدة .. ولم يبقَ لك الا الفرار من هنا

فجحظت عينا بطرس وقال – أألجأ الى الفرار ولديّ حسامي وخنجري وفيّ عرق ينبض ؟

قال – ولكنهم سكارى يا مولاي فلا تتسنى لك النجاة مهما كنت شجاعاً . فهيا بنا ولا تعرّض نفسك العزيزة للخطر

وكان بطرس قد ادرك حقيقة موقفه ورأى في كلام بولس كارنين كل الحكمة ولكنه خشي ان يُوسم بالجبن وتحتقره حنة مونس فعزم على المكافحة الى النهاية

وانه لكذلك واذا بهيلانة وحنة قد دخلتا مسرعتين وهما ممتقعتا الوجوه مرتعدتا الفرائص . فقالت هيلانة – ان الاسترلتس ايها الملك قد هجموا على البلدة ليظفروا بك ... وقالت حنة – أسرع ايها الملك

وانجُ بنفسك لان الاعداء يقتربون الى هنا ..

فقال بطرس - اني لست بخائف منهم مهما كثر عددهم

فقالت هيلانة - ولكن الاسترلتس ايها القيصر العزيز وحوش في صورة بشر فمن الحمق ان تقابلهم وجهاً لوجه . ألا تذكر ثورتهم سنة ١٦٨٢ حينما هجموا على القصر وقتلوا خالك اثناسي ناريشكن ومزّقوا خالك الآخر ايفان باسنة رماحهم وهجموا عليك وانت طفل بعد يريدون إعدامك ؟ ..

وكانت اصوات الثائرين في هذا الوقت قد ارتفعت فملأَت الفضاءَ وهم يدنون شيئاً فشيئاً من منزل القسيس ويصرخون صراخاً يصمُّ الآذان قائلين :

- لنقتل الدجّال !

- انه تزيّا بزي الملك بطرس وكان يتداول مع الجن !

- وقد بعث بشبح الموت الى موسكو ليُنزل بها الويلات !

- فلنفتك به وندرأ عن البلاد شرّه !

- ونقتل جميع مَن بقي من اسرة ناريشكن الخبيثة !

- لينقرض هذا النسل الى الابد !

- هيَّا بنا نبحث عن الدجّال في كل مكان ! ...

وكان هذا الكلام يختلط ببعضه ببعض فيُسمع له دويٌّ هائل في سكون ذلك الليل

سمع بطرس هذه الاقوال فتأكد له ان بعض الاسترلتس قد رأوه ولا شك وهو جالس الى الهيكل البشري يدرس فانقبضت نفسه وهلع

قلبه ولكنه تجلّد ولم يظهر الخوف على وجهه

فقال له بولس كارنين – ما بالك يا مولاي واقفاً ؟ هيا بنا نخرج سريعاً من هذا المكان والا فانهم لايلبثون ان يسدّوا علينا كل منفذ للنجاة

فلم يجبه بطرس بكلمة بل لبث واقفاً في مكانه وعيناه تقدحان ناراً

وكأنّ حنة مونس قد أدركت ما يخالج فكره فدنت منه وقالت – ليس من الشجاعة ايها الملك ان تعرّض نفسك للخطر في مثل هذه الصورة .. فيجب ان تخرج من هنا في الحال والا فان العاقبة ستكون وبالاً علينا اجمعين

ثم امسكت بيده وخرجت من الغرفة فسار معها وهو على غير هدى . وتبعهما بولس كارنين . وأسرعت هيلانة فاخفت الهيكل البشري وأطفأت الانوار في الغرفة ودخلت بعد ذلك الى مخدعها وهي مذعورة خائفة



الفصل الثامن

﴿ الاميرة صوفيا ﴾

كان للملك اليكسي والد بطرس الاكبر زوجتان اقترن بالاولى منهما (ماريا ميلوسلافسكي) سنة ١٦٤٧ . وبعد وفاتها اقترن بالثانية (نتاليا ناريشكن) سنة١٦٧١ . وقد وُلد له من الاولى ثماني بنات وخمسة بنين لم يبقَ منهم بعد وفاته الا ابنان وهما ثيودور ويوحنا وست بنات اشهرهنَّ صوفيا . وولد له من زوجته الثانية ابنتان وابن واحد هو بطرس